

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00972 1352

U. CAIRO



مكتبة دار الكتب
بمصر

أهل البيت في الرفق

مؤلف: محمد باقر

مطبعة دار الكتب بمصر 1341

١٠٠ FEB 19/3

مكتبة دار الكتب

مكتبة دار الكتب بمصر

ID: 0664240



مِنْ مَنَاجِجِ الْإِصْلَاحِ الْإِجْتِمَاعِيِّ

لِعَمَلِ الْمَسِيدَانِي فِي الرِّيفِ

HN

783

AG3

1955

C. 3

c Ammār, Hānīd

al-ʿAmal al-maydānī fī al-rīf

دكتور حامد عمار

CAS

327878

المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي



٢٠١٣

ع. ٢٦

كتاب في تاريخ العرب

37387

كتاب في تاريخ العرب

محتويات الكتاب

تقديم

الفصل الاول

الاتجاهات العامة في التربية الأساسية وأهميتها للعالم العربي

الحاجة إلى التربية الأساسية في العالم العربي في الريف العربي . مشكلات العالم العربي - المشكلة التربوية الأساسية والأوضاع الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية والاتجاهات الفكرية والنفسية . مناهج الإصلاح الاجتماعي - الفرض والإملاء - قواعد العمل في التربية الأساسية - المؤسسات الاجتماعية لخدمة الريف في مصر .

الفصل الثاني

أسس العمل الميداني في الريف

← المفاهيم والأسس اللازمة لدراسة المجتمع الريفي وفهم النظرة الوظيفية - تشابك الظواهر الاجتماعية - تعدد وظائف المؤسسات الريفية - الريف اصطلاح نوعي وخاص - التركيب الاجتماعي للقرية والأدوار الاجتماعية بها - القيم الاجتماعية - الدوافع الديناميكية في حياة المجتمع الريفي - المقومات الاجتماعية والتاريخية لسيكولوجية الريفي - اتجاهات التغيير الاجتماعي .

الفصل الثالث

مراحل العمل الميداني - مرحلة التعرف والدراسة

تعريف القرويين بمهمة الإخصائي ومعرفة الأسماء - التعرف على المؤسسات الموجودة - التعرف على القادة وأنواع القيادة - مجالات التعرف بالقرية - مشكلات مرحلة التعرف .

البحوث الاجتماعية العامة - البحوث الاجتماعية في مستوى القرية - المسح والاستقصاء - أغراض المسح ووظائفه - مصادر البحث ووسائله - البحث الوظيفي .

الفصل الرابع

مراحل التخطيط والتنفيذ والتقييم

مرحلة التخطيط - رسم الخطة في ضوء الحاجات الواقعية - التخطيط في مستوى الدولة وفي مستوى القرية - شروط الخطة : الشمول - التكامل - ترتيب الأولويات - المرونة - توضيح الأولويات .

مرحلة التنفيذ والعمل - الإعداد التام للتفاصيل وأهمية التوقيت - نموذج لتنفيذ الخطة - أنواع المشروعات - مشروعات الخدمة المباشرة ، تنظيم المجتمع - تجارب توضيحية لتعليم المجتمع وتدريب القادة . مشروعات التقييم - أهمية التقييم - معايير - أمثلة لبحوث في التقييم .

الفصل الخامس

خبرات عملية من نشاط المركز

الاهتمام بالجانب الاجتماعي لهذه الخبرات صور من مرحلة التعرف وطريقة العمل ومشكلاته في هذه المرحلة - تأسيس مجلس القرية - قيمته وجهوده وتقييمه - تنشيط الجمعية التعاونية - أسباب خلوها وطريقة بعثها وإحيائها - الدعوة والإرشاد - أغراض هذا النشاط - كيفية تنفيذه - الوسائل المختلفة وقيمة كل منها .

تدريب القادة المحليين - أهمية القادة - مشكلات التنافس بينهم - وسائل تدريبهم - الإصلاح في مستوى القرية وبرامج التنمية الاقتصادية الشاملة - تغيير في الكم والكيف لرفع مستوى المعيشة .

الفصل السادس

مراجع مختارة

تقديم

هذه مجموعه من المقالات كتبت في مناسبات مختلفة ، وقمت بمراجعتها وتنسيقها لمستوى كتاباً منتظماً ؛ فأضفت إليها ، وحذفت منها ، حسبما اقتضته الحاجة من تسلسل الفكر وانتظام الموضوع .

وقد قصدت بهذه الدراسات أن تكون موجهة إلى المشتغلين بخدمة القرية من الإخصائيين الاجتماعيين ، والمرشدين الزراعيين ، والمشتغلين بالخدمات الصحية والتعليمية ، أو اختيار العاملين وتدريبهم في ميادين الإصلاح الريفي . وحاولت جاهداً أن أجمع في هذه الدراسات بين الأسس العامة وبين الحقائق العملية والشواهد الواقعية ، مما أفدته من خبرة أثناء عملي في المركز الدولي للتربية الأساسية بسرس الليان . والمواقف التعليمية مواقف ثنائية مزدوجة ؛ فالإنسان دائماً يتعلم أحسن ما يتعلم حين يعلم ، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أعترف بما استفدته من مبعوثي هذا المركز أثناء عملي وتدريسي ومناقشتي معهم ؛ فإليهم أقدم هذا الكتاب .

وهذه الفصول ، كما يبدو من عنوان الكتاب ، تؤكد قيمة العمل الميداني عن طريق المنهج المباشر بالاتصال بالقرويين ، والعمل معهم بوسائل خاصة وفي ضوء أسس معينة ، حاولت توضيحها في هذا الكتاب . ومثل هذا المنهج قائم على الإيمان بأن أي إصلاح أو تغيير لا بد أن تقاس نتيجته في ضوء ما يحدث للإنسان من تعديل أو تكييف في سلوكه واتجاهاته وأعماله ونشاطه . يقترن بهذا أيضاً إيمان بأن العناصر البشرية والاجتماعية من العناصر الرئيسية في كل عملية إصلاحية ؛ وأن تجاهلها من قبيل سياسة النعمة ؛ ولذا احتلت علوم الاجتماع والنفس مكانة هامة في فهم الحياة الاجتماعية ، وما يتصل بالخطط والمشاريع لإصلاحها في مختلف الميادين الزراعية والصحية والاقتصادية والتعليمية .

وإذا كانت النهضة الحديثة قد انتقلت من دور الديمقراطية السياسية ومساواة الناس أمام القانون ، إلى التفكير في الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية فإن أمر الرعاية الاجتماعية يصبح حتما من حقوق الأفراد ؛ وعلى القادة والمفكرين في كل قطر من الأقطار العربية أن يسهموا في التفكير والعمل للقضاء على جيوب المقاومة وعوامل التخلف الاجتماعي . ولاشك أن وسيلة الاتصال بالريفين في مجالاتهم الطبيعية من الوسائل الهامة في هذا الصدد .

ثم إن العمل الميداني في الريف ، والاستفادة من خبراته وبحوثه ، هو الأداة الفعالة التي نستطيع أن نكسب بها مشاريعنا في الإصلاح طابع الواقعية والحياة . وإذا لم نكن من الأفلاطونيين ، فلا مندوحة من أن نقرر أن الجزئيات والتفاصيل هي التي نستقرئ منها ما نخلص به من عموميات ، وأن التفاعل المستمر بينهما هو الذي يزود التفكير بمادة حية متجددة .

وأرجو أن يكون هذا الكتاب جهد المقل في تحقيق بعض هذه الاتجاهات .

سرس الليان

يوليه سنة ١٩٥٥

الفصل الأول

الاتجاهات العامة في التربية الأساسية وأهميتها للعالم العربي

التربية الأساسية منهج من مناهج الإصلاح الاجتماعي ، يهدف بصورة عامة إلى تحسين الأوضاع المادية والاجتماعية والفكرية ؛ وليست فكرة التربية الأساسية فكرة جديدة في كليتها ، ولكنها تستمد كثيراً من عناصرها من اتجاهات مختلفة ، تجمعت وتبلورت في مفهوم التربية الأساسية ، ونقطة البداية هي صلة التربية الأساسية بالعالم العربي ، فلا بد من أن نعرض أولاً بعض المشكلات التي يواجهها العالم العربي لنرى الدور الذي يمكن أن يقوم به هذا المنهج من الإصلاح في معالجة تلك المشكلات .

ولعل أول المشكلات التي تصادف العالم العربي هي المشكلات التي تتصل بأوضاعه المادية التي تسوده ؛ ودلالة على ذلك ندرة رأس المال ، وقلة دخل الفرد القومي . وإحصائيات هيئة الأمم للدخل السنوي للفرد في الدول العربية لعام ١٩٤٩ تدل على ذلك دلالة واضحة :

لبنان	١٢٥ دولاراً	مصر	١٠٠ دولار
سوريا	١٠٠ دولار	العراق	٨٥ دولاراً
المملكة السعودية	٤٠ دولاراً	اليمن	٤٠ »

وتبدو الصورة أوضح حين نقارن متوسط دخل الفرد في الدول العربية بمتوسط دخل الفرد في الدول الأوروبية أو بالولايات المتحدة ، حيث وصل في نفس

تلك السنة إلى ١٤٥٣ في الولايات المتحدة و ٨٧٠ في كندا و ٤٨٥ في فرنسا و ٤٢٠ في أيرلندا (*) .

ورغم ما في مثل هذه المقارنات من صعوبة ، إلا أنه يبدو أن طبيعة المشكلة الاقتصادية بصورة مبسطة تتلخص في قلة رأس المال الموجود ، والحاجة إلى زيادته زيادة محسوسة ، فضلاً عن الحاجة إلى مصادر جديدة . ولا شك أن هناك حلولاً مختلفة للحصول على تكوين وتراكم لرؤوس الأموال ، أهمها القيام بمشروعات إنتاجية كبرى كالتوسع في استصلاح الأراضي الزراعية أو القيام بمشروعات كبرى للتصنيع واستغلال الموارد الطبيعية المختلفة في كل بلد من البلاد . وإن دور التربية الأساسية في هذه الناحية من الأوضاع المادية إنما يتجه أول ما يتجه إلى محاولة استغلال رأس المال القائم أحسن استغلال ، والوصول به إلى أقصى درجة من الكفاية الإنتاجية ، وهذا ، في نظري ، هو المجال الأساسي الذي ينصب عليه منهج التربية الأساسية في الإصلاح . ومن هنا نسمع كثيراً عن استغلال الإمكانيات كأحد التعبيرات الشائعة المتصلة بهذا الموضوع . أما العمل على تكوين رأس مال جديد ، فإن هذا مهمة من مهمات الدولة ، تقوم بها عن طريق التشريع والتنظيم والقروض واستثمار المدخرات ، وهذا لا يدخل في مجال التربية الأساسية بالمصطلح المتفق عليه .

أما المشكلة الثانية ، فهي مشكلة الأوضاع الاجتماعية التي تتصل بتوزيع الثروة ، وما يترتب على ذلك من وجود مصالح مكتسبة ، وتنظيمات اجتماعية ، وعدم توفر الفرص الكافية للعدالة الاجتماعية ، وضعف مقومات التماسك الاجتماعي بين مجموع أفراد الأمة ، وعدم إحساسهم بالمسؤولية الجماعية والمصالح المشتركة . ولا شك أن للدولة ، عن طريق قوانينها وتشريعاتها ، دور هام في تغيير كثير من الأوضاع الاجتماعية ، وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع وطوائفه ؛ أما التربية الأساسية فإن دورها الرئيسي في هذا المجال هو خلق الوعي الاجتماعي ، والحساسية الاجتماعية ، وتبصير الفرد بأنه مواطن في أمة من الناس ،

(*) Cook, Hedley, *Challenge and Response in the Middle East*, New York, Harper & Brothers, 1952.

له حقوق وعليه واجبات ، إذ لا شك أن القيم المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة مدعاة إلى إيجاد التماسك بين أفرادها ، ذلك التماسك الذي تبدو الحاجة إليه أكثر ما تبدو في أوقات الشدة والأزمات .

والمشكلة الثالثة في العالم العربي هي مشكلة الاتجاهات الفكرية والنفسية المتصلة بعملية الإصلاح ، فهناك مشكلة القديم والجديد ، والتزام أحدهما دون الآخر ، أو المزج بينهما . أضف إلى هذا الاعتقاد الموجود ، نتيجة لظروفنا التاريخية ، بأن الإصلاح شيء منفصل عن مجريات الحياة القائمة ، مما دعا طائفة من الناس إلى أن تخصص فيه ، الأمر الذي لا نجده في كثير من الدول الأخرى ، وربما كان ذلك ناتجاً عن اتصالنا بالحضارة الغربية ، ومحاولة تقليدها والنقل عنها ، وتصورنا أن كل ما يتصل بهذا النقل هو إصلاح ، في حين أن النمو أو التطور الطبيعي لأوضاعنا التقليدية لا نعتبره إصلاحاً .

ونتيجة لهذا أيضاً أخذ الناس ينظرون إلى الحكومة على أنها هي الأداة التي ينتظر منها الإصلاح . ونشأ عن هذا الاتكال عليها والانتظار لما تقوم به ، دون أن يساهم الأفراد أو الجماعات في القيام بما في مقدورهم لتحسين أحوالهم . ونتج عن هذا أيضاً إحساس آخر ، هو إحساس الخوف أو التشكك أيضاً في بعض الإصلاحات الحكومية التي تعتبر أموراً آتية من هيئة مستقلة ، لها كيان منفصل عن المواطنين ، وهي بهذا إما أنها هيئة تستغل الأفراد أو هيئة يستغلها الأفراد .

وتنتاب المشروعات الإصلاحية نوبات من الذعر والقلق والتعجل ، دون أن يحس المصلحون بأن عملية الإصلاح لا بد لها من أن تنمو نمو طبيعياً ، ومن هنا جاء الارتجال والتسرع في كثير من مشروعاتنا ، لمجرد الرغبة في القيام بأعمال إيجابية فعالة في أقصر وقت ممكن . كذلك يتولانا اليأس في كثير من الحالات ، حين ننظر إلى بعض مشاكلنا غير مدركين أن بعضها يحل مع تطور الزمن ومرور الأيام . وينقص الإصلاح لدينا عنصر الاستمرار نتيجة لاختلاف السياسات ، ومحاولة الخلف أن يقلل من قيمة ما كان يقوم به السلف ، أو نقضه نقضاً تاماً ، واتخاذ طريق آخر ، مما لا يجعل لمحاولات الإصلاح مجالا

لأن تؤتى أكلها أو تظهر نتائجهـا .

وإزاء هذه المشكلة الثالثة تسعى التربية الأساسية إلى محاولة تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات ، كما تسعى إلى تغيير في الأوضاع المادية في الدائرة التي تلتزمها . ويؤمن دعاة التربية الأساسية أن كل عمل أو مشروع مادي ، لا بد أن يسبقه ويصاحبه ويتبعه تغيير في تفكير الناس ، وفي الاتجاهات الفكرية والنفسية ، حتى يمكن أن يكون العمل منتجاً إنتاجاً كاملاً . وكثيراً ما رسمت مشروعات إصلاح لم تثمر ثمرة المطلوبة ، لأن الأفكار لم تنهياً لها ، وربما كانت ضرورة توجيه العامل توجيهاً فكرياً قبل العمل في المصنع مثلاً على هذا النوع من التربية ، إذ يحدث في بعض المصانع الكبرى في مصر أو في غيرها تعطيل أو خلل في العمل والإنتاج ، نتيجة لعدم إدراك العامل لطبيعة التركيب الميكانيكي ، أو لعدم اعتقاده بأن الشحنة الكهربائية قد تصعقه ، أو قد توقف حركة المصنع ، كما نجد كثيراً من العمال يدخلون المصنع ثم يغادرونه بعد فترة ، ليحل محلهم فريق آخر من العمال يحتاج إلى وقت ليكيف نفسه لظروف العمل . وقد وصلت نسبة الذين يتركون المصنع إلى الذين يبقون فيه في بعض الحالات خمسة إلى واحد ، وربما كان السبب الهام في كل ذلك عدم التوجيه الكافي من الناحية النفسية والفكرية لهؤلاء العمال ، مما يؤثر في طبيعة الإنتاج نفسه . وقد ذكر بعض الكتاب أننا نجد أن في العالم العربي كثيراً من سائقي العربات على درجة كبيرة من المهارة ، ولكننا قلما نجد الميكانيكيين الذين يصلون إلى نفس الدرجة من الخلق ، وربما كان هذا دليلاً آخر على قيمة معرفة الأسس والأفكار في الإنتاج والعمل .

هذه هي المجالات الثلاثة التي تعمل فيها التربية الأساسية ، إذ تسعى إلى تحسين الأوضاع المادية القائمة ، واستغلال رأس المال الموجود إلى أقصى درجة ممكنة ، كما تسعى أيضاً إلى تغيير في الاتجاهات والأفكار ، يساعد على رفع مستوى المعيشة بصورة عامة ، كما يساعد أيضاً على تقارب المفاهيم والنزعات لختلف طوائف الأمة ، مما يؤدي إلى زيادة الوعي الاجتماعي ، وازدياد التماسك بين أفراد الشعب .

وينصب عمل التربية الأساسية من الناحية البشرية على مستويين : مستوى الكبار ، ومستوى الصغار ، أما عن مستوى الكبار ، فإنها تعمل على تزويد المحرومين منهم بالمعلومات والخبرات الأساسية التي لم يزودوا بها في صغرهم ، أو التي لم يستطيعوا أن يلمحوا بها نتيجة لسرعة التقدم العلمي والفكري . ولهذا فإنها تتجه إلى الفلاح في حقله ، وفي بيته ، وفي قريته ، كما تتجه إلى العامل في مصنعه ، وفي ظروف معيشته ، لتجعله أكثر قدرة على فهم الحياة والتصرف فيها . وكذلك تتجه أيضاً إلى الصغار ، حيث تسعى إلى تزويدهم بالقدر الأدنى من المعلومات الأساسية التي تمكنهم من النمو ، ومن فهم حياتهم المحيطة بهم . وهنا تتحد التربية الأساسية مع برامج التعليم الإلجباري لإعطاء كل طفل حداً أدنى من المعلومات والخبرات والمهارات اللازمة لكل مواطن ؛ كما تستمد من اتجاهات التربية الحديثة أيضاً ضرورة ربط هذا النوع من التعليم بواقع الحياة ، وبضرورة جعله تعليماً وظيفياً ، لا يقوم على الألفاظ والكتب فحسب ، وإنما على المرور والاستغراق في خبرات عملية ، تجعل للألفاظ والعبارات طعماً وحساً . فإذا ما سار تعليم الصغار على هذا النحو ، أصبح التعليم عنصراً من عناصر الإنتاج ، لا يقل أهمية عن رأس المال وتوفر العمال . ولا بد أن يسير تعليم المستويين جنباً إلى جنب ، ولا ينبغي أن نضحى بالجيل القديم ، لأنه هو بدوره أداة تعليمية مباشرة وغير مباشرة للجيل الجديد ، ولذا كانت إعادة تعليم الكبار أساساً هاماً في تعليم الصغار أيضاً . وإذا لم يحسّ الكبار بقيمة هذا النوع من التعليم ، فإننا نخسر عنصراً مساعداً في تعليم الصغار أنفسهم ، كما نخسر أيضاً النتائج المادية والاجتماعية التي قد تترتب على هؤلاء الكبار ، ومن ثم كان القول بأن تعليم الكبار أمر مشكل لا يستحق ما يبذل فيه من الجهد صيحة يائسة لا تعتمد على دعائم عملية ولا تنظر إلى الأمور نظرة بعيدة المدى (*) .

(*) انظر :

اليونسكو ؛ التربية الأساسية . وصفها ومنهجها ؛ باريس ١٩٥١ .

مقي عقراوي ؛ التربية الأساسية في العالم العربي « صحيفة التربية » السنة الثالثة العدد ٢ ، يناير

(١٩٥١) . مستخرج من صحيفة التربية ؛ السنة الخامسة ٣٠٢ (١٩٥٣) .

وهناك اتجاهان رئيسيان في عملية الإصلاح بصورة عامة ، الأول قائم على سياسة الفرض والإملاء والإجبار ، والثاني قائم على الدعوة والإقناع والفهم والإقبال . أما الاتجاه الأول فإننا قد جربناه طويلا ، وقد كان يبدو لنا في كثير من الأحيان أنه قصير الأمد سريع النتيجة ، لا يحتمل أكثر من أن يسن التشريع ، أو يوضع القانون . ومثل هذا الاتجاه من الإصلاح يتصور طبيعة المجتمع البشرى القائم على أنها عميقة رخوة يمكن طبعها وتشكيلها بأى قالب ، متجاهلا ما يمكن أن تقوم في وجه الفرض من وسائل المعارضة أو المقاومة أو عدم الاكتراث ، وفي أحيان كثيرة من وسائل التحايل على القانون المفروض . وفي هذه الحالة أيضاً يكون غرض الإصلاح ووسائله وما يمكن أن يؤدي إليه من نتائج في ذهن الذى يحاول الإصلاح أو التغيير وحده .

ولعل أوضح الأمثلة على ذلك قانون التعليم الإلزامى في مصر الصادر في عام ١٩٢٥ ، والذى تصور أن الأمية في مصر يمكن القضاء عليها في عشرين عاماً ، ومع ذلك فقد قامت صعوبات مختلفة في سبيل تنفيذ هذا القانون ، كما تحايل الناس على تفاديه أيضاً . ومثل آخر لهذا هو مشروع الحفاء ، حين حاولت طائفة من المصلحين أن تلبس بعض الفلاحين في مصر أحذية كان مصيرها أن ألقيت جانباً ، أو بيعت في الأسواق ، وحق القول بأن الحفاء لا في الأقدام فحسب بل في العقول أيضاً . وأمثلة هذا النوع من الاتجاه في الإصلاح كثيرة ومتواترة في قوانين الزراعة أو الصحة أو نظام المرور .

والاتجاه الثانى يقوم على الدعوة والإقناع ، ومحاولة تفهيم الناس لما يراد بهم من تغيير ، وهذا هو السبيل الذى تلتزمه التربية الأساسية وتعتبره قاعدة من قواعدها الهامة ، وربما كانت هذه الوسيلة بطيئة التنفيذ ، طويلة الأمد ، ولكنها هى الوسيلة الناجعة الوحيدة ، ما دام الإنسان يتعامل ويتفاعل مع الجماعات البشرية . ولا شك أن هذا الطريق يحتاج إلى صبر ومصابرة ، كما أنه يؤمن بقيمة الفرد وبإمكانياته وتعليمه ، عن طريق الأخذ والإعطاء . وإن فقدان الصلة بين واضع القانون أو التنظيم أو الإصلاح ، وبين الذين يطبق عليهم ، يجعل تنفيذه أمراً غير يسير ، كما أن التجارب قد أثبتت فعلاً أن

توضيح الغرض والإشعار بقيمة الفرد ، وتفهييمه ما يطلب منه أكثر جدوى من مجرد الفرض والإملاء ؛ ومن ثم جاءت الاتجاهات الخاصة بالإرشاد الزراعي والتثقيف الصحي بديلاً عن تنفيذ القوانين الزراعية أو الصحية .

والقاعدة الثانية في التربية الأساسية هي مساهمة الناس بالجهد أو بالمال أو في الفكرة أو في التنفيذ في أى عمل من الأعمال . ولا شك أن هذا يدعوهم إلى الشعور بأن هذا العمل أو المشروع جزء منهم ، وأنهم أصحاب حق فيه ، مما يحفزهم إلى رعايته واستغلاله والاهتمام به . أما إذا لم يشترك الأهالي في أى جانب من جوانب العمل ، فإنهم كثيراً ما يتقاعدون عن المشروع ، أو على الأقل لا يكثرثون له ، وربما يثيرون حوله الأقاويل أو الشائعات ، وهذا المبدأ قد أخذت به المراكز الاجتماعية في مصر . ومساهمة الأهالي في العمل أو في الجهد تشعر البيئات المحلية بقدرتها على تنظيم نفسها تنظيماً يمكنها من مواجهة مشكلاتها بنفسها ، أو بطلب المعونة الفنية أو المادية من الجهات الحكومية المسؤولة . ومثل هذا الاشتراك والمساهمة هو الدعامة الكبرى لنمو الحياة الديمقراطية التي لا بد أن تقوم على نضج عام ، وإحساس بقيمة هذا النوع من الحياة في البيئات المحلية نفسها ، وإلا غدت الحياة الديمقراطية صرحاً أجوف لا يستند إلى دعائم قوية ؛ وهذه المساهمة والمشاركة مدعاة إلى نمو الثقة بين الناس وبين ممثلي الحكومة .

والقاعدة الثالثة في منهج التربية الأساسية هي الاهتمام بالعملية التربوية التي يمر فيها الفرد أو الجماعة اهتماماً لا يقل عن النتيجة أو الأثر النهائي ، وهذه القاعدة وثيقة الصلة بين القاعدتين السالفتين ، فمن الممكن أن يشق المرء قناة أو يبنى هرمًا ، وأن تكون النتيجة باهرة ، ولكن الطريقة التي تم بها هذا العمل لا تقل في نظر منهج التربية الأساسية عن النتيجة نفسها ، لأن العملية في حد ذاتها هي وسيلة هامة من وسائل النمو الفردي والاجتماعي . ولذا كان العاملون في منهج التربية الأساسية يهتمون بالاتصال بالناس ، وتعرف آرائهم واستجاباتهم ، مما يستغرق مناقشات طويلة ، يعتبرونها خطوة ضرورية لازمة في أعمالهم ، إذ ليست العبرة فقط بعمل طلمبة مياه ، أو إنشاء جمعية تعاونية ، وإنما المهم أيضاً

العملية التربوية التي مر فيها الفرد والمجتمع للوصول إلى تحقيق هذا العمل . وشأن هذا شأن أى عملية تعليمية ، إذ ليس المهم أن يتعلم التلميذ دروس تاريخ أو جغرافيا ، إنما المهم أيضاً أن ينمى الاتجاهات السليمة نحو هاتين المادتين ، ونحو استمراره في طلب الاستزادة منهما .

ومهما تختلف الوسائل الذرائع التي يلجأ إليها العامل الاجتماعي أو الصحي أو الزراعي في القرية ، فإن هدفها الأساسي هو العمل على كسب ثقة الأهلين لضمان تعاونهم واستفادتهم مما يقدم إليهم أو يقومون به من مشروعات الإصلاح ؛ وهذا هدف عملي واضح . ثم إن هناك هدفاً آخر من مرحلة التعرف وكسب الثقة ، وهو كسر تلك الحواجز السيكولوجية التي أقيمت زمنياً طويلاً بين الحاكم والمحكوم ؛ فإذا ما نمت الثقة بين الناس وبين ممثلي الحكومة الذين يفدون لخدمتهم كان ذلك تكويناً وتربية للروح الديمقراطية الصحيحة . وحقيقة أن هذه النتائج قد لا ترى أو تقاس ، ولكنها من صميم عمل المشتغل في ميدان الخدمة الاجتماعية . ليس ثمة فرق في النتيجة المادية بين الأب الذي يعطى ابنه قلم رصاص أحمر ، وبين الأب الذي يأخذه إلى المتجر فيختار الابن قلم رصاص أحمر ، ففي كلا الحالين يكون لدى الولد قلم أحمر اللون ؛ ولكن وسيلة الاختيار لهذا القلم أو لغيره من الأمور لا شك أنها مؤثرة في علاقة الولد بوالده ، وفي إحساساته نحوه ، وفي تكوين شخصية الولد بصورة عامة (*) . ولذا نريد أن يكون الإصلاح ومشاريعه والقائمون به دعائم تربوية تنمى شخصية الفرد تنمية قائمة ، لا على الخوف والريبة ، بل على الإيمان والوعي الفردي والاجتماعي .

ثم إنه لا بد من أن نؤكد هنا مرة ثانية أن تقديم الخدمة لا يكفي ، وإنما ينبغي أن يسبقه ويصاحبه ويتلوها عملية تعليمية ، الغرض منها تهيئة الجو لتقبل الخدمة ، وإعداد الأذهان لتعرف قيمتها وإقرارها في نفوس الناس ، وتكوين

(*) انظر :

Frenkel-Brunswick and other. "The Antidemocratic Personality" in :
Newcomb and Hartley, *Readings in Social Psychology*. New York, Henry Holt,
1947, pp. 1947 531-541.

العادات اللازمة لذلك ؛ فكثيراً ما نسمع عن حوادث إسعاف لمن غرقت أراضيهم أو التهمت الحرائق ديارهم . يحدث هذا فتذهب فرق الإسعاف إلى القرى توزع الخيام والدقيق أو الملابس ، ثم يحدث الحريق في قرية ثانية أو في نفس القرية الأولى ، وتتم عملية الإسعاف بالصورة السابقة ، وكأن شيئاً لم يحدث بالأمس . وكان من الأصوب أن تنتهز فرصة الحريق بصفقتها مناسبة خطيرة لتعلم الناس الأسباب المؤدية إلى هذه الحرائق ، ووسائل مقاومتها وتفاديها ، وتزويدهم بما يلزم لذلك كله .

والقاعدة الرابعة في منهج التربية الأساسية هي تكامل الجوانب في مشروعات الإصلاح ، نظراً لارتباط مشكلات الحياة ارتباطاً وثيقاً ، وخاصة في البيئات الريفية التي تعمل بها التربية الأساسية في هذه المرحلة من مراحلها في العالم العربي . ولا بد من معرفة التداخل والارتباط بين المشكلات ، كما أنه لا بد من التكاملية في العلاج . ومشكلات الريف على وجه خاص متشابكة يأخذ بعضها برقاب بعض ، ولهذا كان العلاج الجزئي غير كاف ، بل ربما يؤدي إلى خلق مشكلة جديدة ، ومن أمثلة ذلك أن حفر الترع والقنوات في مصر لمعالجة مشكلة الري قد أدى إلى انتشار مرض البلهارسيا في المياه الراكدة لبعض تلك الترع ، الأمر الذي لم يكن موجوداً قبل شقها ، ونتج عن ذلك حل لمشكلة وخلق لمشكلة أخرى . كذلك لا يكفي أن تعلم القراءة والكتابة في فصول محو الأمية ، بل يجب أن تستغل هذه الفصول في الإرشاد الزراعي ، وفي الثقافة الصحية ، وفي تعليم الناس بعض الحرف اليدوية .

ويمكن القول بأن للإصلاح الاجتماعي مستويين رئيسيين : المستوى الأول ، يقوم على ما ترسمه الدولة من برامج ، وماتضعه من تشريعات ، لتحقيق أهداف الإصلاح المنشودة ؛ ومن المسلم به أن بعض جوانب الإصلاح لا يمكن أن تتم في المجتمع الحديث إلا عن طريق الدولة وتنظيماتها . ومن أمثلة ذلك توزيع الملكيات الزراعية توزيعاً عادلاً ، أو فرض ضرائب تصاعدية على الدخل ، أو إنفاق معظم الضرائب التي تجمع من أهل الريف على أهل الريف ، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن إقرارها إلا

بتدخل الدولة لصالح الأفراد . أما المستوى الثانى من الإصلاح فهو الذى يتقاضى جهود الأفراد من المشغلين بالخدمات الاجتماعية المختلفة من صحة وزراعية وتعليمية لإفادة الأهالى من الإصلاحات الحكومية ، ولإثارة الوعى لدى الناس للإقبال على هذه المشروعات أو الإضافة إليها بأنفسهم ، مما يساعد على تحسين أحوالهم فى نطاق الإطار الذى يعيشون فيه ، فى حدود إمكانياتهم المادية والاجتماعية ، وسوف ينصب الكلام فى هذا الكتاب على العمل الميدانى الذى يتطلبه المستوى الثانى من الإصلاح . وعناصر ذلك العمل هو القرية بما فيها من سكان ، وما تتميز به من ظروف ، وما يتطلبه فهم أحوالها ومشكلاتها ونمط حياتها ، وتأسيس العلاقات مع أهلها من أسس ومفاهيم ومعدات لا بد من توافرها لمن يقومون بالعمل المباشر فى القرية ؛ وفهم هذه الأسس والإيمان بها من الأمور الهامة للمشغلين فى الريف كما أنها ضرورية حتى لمن يرسمون ويخططون السياسة العامة للإصلاح الريفى .

ولما كان العمل عن طريق البيئات المحلية من الأمور الجوهرية فى منهج التربية الأساسية ، فإن سياسة اللامركزية من المقتضيات الهامة التى يتحقق معها العمل فى هذا الميدان . ومن البديهي أن مبدأ قاعدة المساهمة لا يمكن تنفيذه إلا إذا وجدت هيئات محلية ومجالس قروية تستطيع أن تشترك فى العمل لتحسين قراها ، خصوصاً وأنه لا ينبغي أن يفوتنا أن لكل قرية من القرى ذاتيتها ومشكلاتها الخاصة ، وأن السلطات المركزية لا تستطيع فى مكاتبها بالعاصمة أن ترسم خطة الإصلاح الاجتماعى بحدافيره ، وهى لا تعلم التفاصيل المتنوعة فى مختلف تلك البيئات الصغيرة . ومن هذا يبدو أنه لا بد أن يتمشى تطبيق برامج التربية الأساسية مع تطبيق اللامركزية والتحلل من قيود المركزية فيما يتصل ببرامج الإنعاش الاجتماعى (*) .

وقد يكون المدخل فى بيئة من البيئات عن طريق حل مشكلة الرى تتبعه برامج صحية وثقافية ، وقد يكون المدخل فى منطقة تشتد فيها الحزازات العائلية

(*) هيئة الأمم المتحدة؛ التقدم الاجتماعى عن طريق العمل المحلى (مجموعة دراسات نشرتها هيئة الأمم المتحدة بالاشتراك مع المركز الدولى للتربية الأساسية فى العالم العربى بـرسس الليان ؛ ١٩٥٤) .

عن طريق الترفيه والتمثيل ، تتبعها البرامج الأخرى ، وهكذا . وليست هناك قواعد محددة أو مداخل معلومة يمكن التزامها وتطبيقها في كل الظروف الاجتماعية .
وفي بيئاتنا العربية لا يمكن أن نعتمد اعتماداً تاماً على مجهودات الأهالي المحلية ، وذلك ما يقول به بعض المتزمطين في هذا الميدان ، حين يقولون إن التربية الأساسية تهدف إلى مساعدة الناس ، أنفسهم بأنفسهم ، وإنما ينبغي أن يكمل هذا المبدأ بمعونة الدولة عن طريق المساعدات المالية والتوجيه الفني من قبل إخصائيين ينظمون ويشرفون على جهود الجماعات المحلية . وهذا يتطلب المزج بين ما يحتاجه الناس وبين ما يشعرون به ، ولا يمكن الاكتفاء دائماً بالعمل على سد الحاجات والمطالب القائمة ، بل لا بد من استشارتهم في بعض الأحيان لأمر قد لا يدركون قيمتها وفائدتها المباشرة .

ونود أن نشير هنا إلى ضرورة تنظيم مجال العمل في ميدان التربية الأساسية تنظيمياً توجهه الدولة وتشرف عليه كواجب من واجباتها ، كما أنه ينبغي أن توجد المؤسسات اللازمة لتطبيقها ، وتدريب المختصين والفنيين للعمل في هذا الميدان .
وقد بدأت الدولة في مصر بتنظيم مجال الخدمة الاجتماعية أول الأمر عن طريق إنشاء المراكز الاجتماعية لخدمة البيئات الريفية ، وقد كانت هذه المراكز تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية تقدم عن طريقها ، وعن طريق مساهمة الأهالي أيضاً بعض الخدمات الاجتماعية والصحية . ومع هذا فإن الوزارات الأخرى كوزارة الزراعة والصحة والأشغال والتربية والتعليم كانت تقدم بدورها خدمات أخرى جنباً إلى جنب مع الخدمات الاجتماعية ، ولهذا فكرت حكومة الثورة في مصر عن طريق المجلس الدائم للخدمات العامة في معالجة هذا النقص عن طريق الوحدات المجمعة ، وقررت أن تنشئ وحدة في كل منظمة ريفية يبلغ تعدادها ١٥ ألف نسمة ، بحيث تعمم هذه الوحدات في مدة خمس سنوات في جميع مناطق القطر . ومهمة هذه الوحدات تجميع الخدمات المختلفة التي تؤديها وزارات الخدمات في هذه الوحدة ، وبذا تكون الجهة أو المنظمة التي تمثل الخدمات الحكومية في مستوى القرية ، وقد رسمت أهداف هذه الوحدات للنهوض بالمستوى الاقتصادي والثقافي والصحي والاجتماعي لأهل الريف في مصر .

وتشمل كل منها داراً للخدمة الاجتماعية مهمتها جمع البيانات عن حياة الريفيين والبحث عن حاجات مجتمعاتهم ، حتى تكون أساساً لوضع البرامج المختلفة ، وفيها أيضاً مدرسة لتعليم الصغار نهاراً والكبار ليلاً ، إلى جانب وحدة صحية وقاعات للصناعات الريفية ومركز للإرشاد الزراعي ؛ وقد بدأ العمل فعلاً في بناء هذه الوحدات المجمعة ، واكتمل بعضها في الوقت الحاضر ، وبدأ في تدريب الموظفين اللازمين لها بعد اختيارهم اختياراً دقيقاً ممن لهم خبرة سابقة بشئون الريف . وكما تختلف الوحدة المجمعة عن المركز الاجتماعي في تنسيقها لمختلف الخدمات ووجود برنامج محدد يهدف إلى التنمية الاقتصادية في فترة معينة ، فإنها تهتم أيضاً بالجانب التعليمي في رسالتها ، بحيث تكون تنمية الأفراد والجماعات تنمية شاملة قائمة على أسس مكيّنة . وهي بهذا تتفق تماماً مع برامج التربية الأساسية التي تؤكد قيمة التكامل في الإصلاح وأهمية العملية التعليمية فيه .

ويرسم هذا التنظيم الخدمة في دوائر مختلفة الأقطار ، بحيث تتوفر موارد ووسائل في مستوى الدولة ، وموارد ووسائل أخرى في مستوى الإقليم ، جنباً إلى جنب مع موارد ووسائل وإمكانات في مستوى القرية نفسها ، بحيث تستطيع الوحدة الصغيرة أن تستفيد من موارد الإقليم ومن موارد الدولة حين تحتاج إليها .

وفي كل هذه الحالات ينبغي أن تتصل هذه المؤسسات اتصالاً مباشراً بحاجات الناس ، وأن تكون البرامج واقعية ، تبدأ بما يمس حياة الناس في شؤونهم اليومية ، كما تتركز كل هذه البرامج على مساهمة الناس ، والاشتراك في مراحل العمل المختلفة في التخطيط والتنظيم والتنفيذ ؛ وخير وسيلة لذلك أن ينتخب أو يختار بصورة من الصور جماعة من أهل القرية يمثلونها ، ويكونون العناصر الفعالة في توصيل البرنامج ورعايته ، وفي تعبئة القوى الكامنة الموجودة في القرية .

الفصل الثاني

أسس العمل الميداني ومفاهيمه (*)

تلتزم كل باحث أو عامل في ميدان الإصلاح الاجتماعي مفاهيم خاصة وتصورات معينة في دراسة المجتمع وفهم ظواهره وتفسيرها . وقد يكون واعياً بهذه التصورات وعياً فكرياً وقد تكون متضمنة بين سطور ما يكتب أو ثنايا ما يعمل . ومن الخير أن نوضح هنا بعض الأسس الهامة التي تقوم عليها النظرة الاجتماعية في دراسة القرية وفهم أوضاعها والعمل بها .

الأساس الأول هو النظر إلى ظواهر المجتمع الريفي ومنظوماته نظرة وظيفية functional ويقصد بهذا إدراك مظاهر الحياة الاجتماعية في القرية على أنها جملة من الوسائل والغايات تتصل فيها الأولى بالثانية اتصالاً يحقق وظيفة معينة في حياة أهل القرية وتسعى إلى إشباع حاجات مادية واجتماعية ومعنوية . فليست تقاليد القرويين ومواضعاتهم أموراً عشوائية لا معنى لها كما يتصور أولئك الذين لم يعاشوهم ، أو أولئك الذين تختلف تقاليدهم عن تقاليد أهل الريف . وحقيق أن سكان الريف يفسرون كثيراً من ألوان حياتهم عن طريق الوراثة عن آبائهم وأجدادهم ؛ ومثل هذا التعبير إن هو إلا مخرج سهل لتفسير تقاليدهم المتبعة المألوفة . ولكن يستطيع الباحث الاجتماعي أن يرى وظائف محددة لما هو قائم من ألوان السلوك والتقاليد والعادات ؛ فقد تكون وظيفة الشيء مادية كما هو الحال في المحراث أو الفأس أو الشادوف التي تحقق أغراضاً متصلة بالإنتاج أعدها وخبرها أهل الفلاحة مدى أجيال عديدة . وقد تكون الظاهرة الاجتماعية تنظيماً

(*) يقابل تعبير العمل الميداني لفظ field work بالإنجليزية ويقصد به ما يقوم به العاملون والباحثون والإخصائيون من نشاط في المجال الطبيعي لأعمالهم عن طريق الاتصال والعمل المباشر في القرية أو في مؤسسات الخدمة الاجتماعية .

خاصاً كالدوار الذى تعتز به العائلة أو العائلات فى الريف ، وتعتبره أداة ورمزاً لتماسكها وعزتها فى مجتمع القرية ، إلى جانب كونه مجالاً لتبادل العلاقات الاجتماعية فى الأفراح والأحزان بينها وبين غيرها من عائلات تلك القرية ونواحيها . وقد تبدو التمايم والأحجبة التى يتخذها القرويون لحماية الأطفال أموراً لا معنى لها ، ولكنها فى الواقع تؤدى وظيفة الأمل المرجو من عالم خفى بعد أن يكون الإنسان قد بذل ما فى وسعه من مجهود بشرى ، وهى بهذا تؤدى وظيفة نفسية عن طريق الأمل والإيحاء .

وللشبابيك الضيقة أو الطاقات أو الفتحات وظيفة فى المسكن الريفى ، إذ أنها تجعل الريفى فى مأمن من الانكشاف والتعرض لمن يحاول أن يتطفل على أموره المنزلية التى يريد أن يحيطها بشيء من الكتمان ، والتستر والانطواء من أهم خصائص البيت الريفى أو البيت الإسلامى بصورة عامة ، كما هو واضح فى البيوت الإسلامية الأثرية (*) .

وكذلك يؤثر نوع التعامل المادى على القيم الصحية والاجتماعية ، فقد حاول اختصاصائى أن يقنع البناء بعمل شباكين إضافيين فى بيته الحديد الذى يبنيه ، لكن البناء رغم اقتناعه بقيمة هذين الشباكين من الناحية الصحية ، تردد فى اتباع هذه الفكرة نظراً لأن هذا يؤثر فيما سيأخذه من أجر . فالاتفاق بين البناء وصاحب البيت قائم على أساس أجره معينة لكل ألف طوبة يبنينا ، ووجود هذين الشباكين معناه نقص فى عدد الطوب الذى يستخدمه البناء ، وبالتالي نقص فى أجره . هذا إلى جانب ما يتكلفه عمل الشباك من موازنة وهندسة فى البناء .

(*) من الخواطر التى يمكن ذكرها فى هذا الصدد أن البيت الريفى فى بنائه منطوق على نفسه ، شأنه فى ذلك شأن الشخصية المنطوية (introvert) التى لا تتحدث أو تتعامل مع الغير إلا بقدر محدود؛ ويلحظ هذا الانطواء أيضاً على الفن الإسلامى بما يميزه من كثرة التفاصيل وعدم الانطلاق فى التعبير بصورة عامة . وليس جمال البيت الإسلامى القديم فى شرفاته الممتدة إلى الخارج وإنما فى أفنيته الداخلية ، وهذا الانطواء الحسى والمعنوى مما يجعل دخول البيت الريفى من الأمور العسيرة الحساسة على الباحث الاجتماعى .

وفي الأفراح والموالد تؤدي وظائف عدة، منها الترفيهي، ومنها الاجتماعي، ومنها العاطفي، وفيها مجال وأدوار مختلفة يقوم بها الكبار والصغار والنساء والرجال.

وأحب أن أؤكد هنا قيمة الجانب العاطفي كوظيفة من الوظائف التي تؤديها كثير من ظواهر الريف وسلوك القرويين، ولا شك أن هذه «الجوانب الانفعالية» من الوظائف الأساسية اللازمة التي لا بد من تحقيقها في حياة الجماعة والأفراد، وهي من الصعوبات الخفية التي تعترض كثيراً من مشروعات الإصلاح والتي إن تعذر تحقيقها في ألوان النشاط العادي لسبب ما، فلا مفر من أن تؤدي الوظيفة ولو بصورة خفية أو بطريقة جديدة مشروعة أو غير مشروعة. ولا شك أن المخدرات أو المكيفات التي تنتشر في الريف من الوسائل الجديدة التي اصطنعها الناس للوصول إلى شيء من «اللذة الانفعالية» بطريق وهمي بعد أن انفصمت عرى كثير من الوسائل التقليدية ولم يحل محلها وسائل جديدة منظمة مرتبطة بمشاعر الناس وعواطفهم.

وليس معنى القول بأن مظاهر الحياة الاجتماعية بالريف وظائف خاصة أننا نكتفي بهذه الوظائف ونقول بعدم إحداث تغيير فيها، فربما يحتاج الأمر إلى تغيير هذه الوظائف كلية واستبدالها بمؤسسات تؤدي وظائف جديدة، أو تؤدي نفس تلك الوظائف بطرق أحسن وأكمل.

وقد تؤدي الوظيفة الاجتماعية بطريقة مباشرة يلحظ فيها الباحث الصلة المنطقية المحكمة بين الظاهرة أو التنظيم، وبين الوظيفة، ولكنه يجد أحياناً بعض المغالاة أو التزيد في التنظيم أو السلوك إذا ما قرنه بالوظيفة التي يؤديها؛ ولا أدل على ذلك من تكرار التحية في الريف أو الإلحاح في الدعوة إلى الضيافة بقولهم «اتفضلوا». وفي مثل هذه الحالات نرى محاولة في التنظيم الاجتماعي لتأكيد هذه الظاهرة، وإبراز قيمتها عن طريق التكرار والمبالغة فيها، إذ يكفي من الناحية المنطقية أن يقال التحية أو كلمة الضيافة مرة واحدة، ولكن ذلك كله قيمة من القيم الاجتماعية تظهر عن طريق السخاء في الانفعالات والعواطف في مواقف معينة يقرها المجتمع.

والأساس الثاني الذي تقوم عليه النظرة الاجتماعية لحياة الريف هو تشابك

ظواهره ، وترتيب بعضها مع البعض الآخر ترتيباً يجعل من أجزائها كلاً عاماً متصل الحلقات والتنظيمات ؛ فوق الفراغ متصل بالزراعة ومواعيدها ، وما تتطلبه في مختلف الفترات من نشاط متنوع ، ومواسم الزواج متصلة بموعد المحاصيل ، ونوع الغذاء وكميته وتوزيعه يتوقف على قيم اجتماعية مثل الجنس والسن وآداب الضيافة ، وكثير من أنواع السلوك تتوقف على ما يضعه المجتمع الريفي من مقومات للرجولة أو مقومات للأنوثة .

أضف إلى هذا أن منظمات المجتمع الريفي ومعداته المادية كثيراً ما تؤدي أكثر من وظيفة واحدة ؛ فالأسرة في القرية تؤدي وظائف متعددة تعليمية واقتصادية واجتماعية ؛ والسوق ليس مكاناً للبيع والشراء فحسب ، بل هو مجال للاجتماع والترفيه أيضاً ، ويستعمل الفرن إلى جانب الخبز في التدفئة وفي النوم عليه وفي طهي الطعام أو تسخين الماء ، إلى غير ذلك .

وتشابه ظواهر الحياة الاجتماعية في الريف ، وتعدد الوظائف التي تؤديها المنظمة الواحدة ، من الأسس الهامة التي تؤخذ بعين الاعتبار في الدراسة الاجتماعية ، أو في العمل الميداني ؛ ولعل هذا التشابه هو الذي يدعو البعض إلى القول بأن حضارة الريف (*) حضارة متماسكة محكمة متكاملة . ولهذا يزعم بعض الرومانتيكيين أن أي تغيير في أحد جوانب هذه الحضارة يؤدي بالضرورة إلى خلل في الجوانب الأخرى وإلى فقدان التوازن في نمط الحياة القديم ؛ ومثل هذا الحكم مبالغه منهم في أهمية التوازن وقيمته لا يمكن أن نقرهم عليها .

وثالث الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها النظرة الاجتماعية هو الاعتراف بأنه من الأفضل نظرياً وعملياً ألا يكون اسم «الريف» اصطلاحاً نوعياً تشترك دائماً جميع وحداته في خصائص واحدة ، وأنه لهذا السبب يمكن أن تصدر عليه من التعميمات والأحكام ما ينطبق على تلك الوحدات جميعاً . فالواقع أن بعض القرى المصرية تختلف عن البعض الآخر في كثير من أوضاعها رغم ما تشترك فيه من أحكام القيم التي نصدرها عليها من فقر وجهل ومرض ؛ ولكنها تختلف في تقاليدها ودوافع

(*) كلمة حضارة هنا مستعملة بالمعنى الأنثروبولوجي ومقابلة في الإنجليزية لكلمة culture ونميز بينها وبين المدنية civilization التي هي كلمة خاصة بحضارة المدن .

الحياة فيها وفي ظروفها الاقتصادية وفي تنظيمها الاجتماعي اختلافاً يتطلب منا ألا نتصور القرية المصرية نوعاً واحداً بل أنماطاً متعددة ، تحتاج إلى تصنيف . فالملاحظ أن قرى الوجه البحري تختلف عن قرى الصعيد في كثير من تنظيماتها الاجتماعية ، فالأخيرة في جملتها أكثر إحكاماً في بنائها الاجتماعي وفيما تقوم به العائلات من دور في ذلك البناء ، وكذلك تختلف العزب عن القرى ، وربما كان هناك تباين بين القرى التي توجد بها ملكيات كبيرة والقرى التي تتكون كلها من ملكيات صغيرة .

ويتبع هذا مباشرة اختلاف أهل القرية أنفسهم في تصورهم وإحساسهم بطعم الحياة نفسها ، وذلك حسب مكانتهم الاجتماعية أو حسب الدور الذي يقومون به في ذلك المجتمع الريفي . فالحديث عن الفلاح بصورة عامة لا يعين كثيراً في العمل الميداني بالقرية من بحث أو إدارة أو تنفيذ لمشروعات معينة . فلا شك أنه يندرج تحت مضمون الفلاح طوائف مختلفة منها الفلاح المالك للأرض ، والفلاح المستأجر ، والعامل الزراعي ، وهناك من أهل القرية النجار والحداد والحلاق والتاجر والمعلم . وكل طائفة من هذه الطوائف لها وجهة نظر خاصة وإحساس خاص بحياة القرية ومشكلاتها . ومثل هذا التقسيم أساسى في تمكين العامل في ميدان الإصلاح الريفي من النفوذ إلى حياة الجماعة والتعامل معها .

ويلزم لكل عامل في ميدان الإصلاح الريفي أن يفهم التركيب الاجتماعي للقرية التي يعمل فيها ؛ وقد تختلف بعض تفاصيل هذا التركيب الاجتماعي من بيئة إلى بيئة ، ولكنه يقوم عموماً على مقومات المكان والسن والجنس وصلة القرابة والنسب ، ولا بد من وضع هذه المقومات موضع الاعتبار في فهم ظروف تلك البيئة والعمل فيها . فيعتبر أهل القرية أنفسهم وحدة اجتماعية واحدة لها حدود إقليمية معينة ، وهذه الحدود تفصل بينها وبين وحدة اجتماعية أخرى هي القرية المجاورة . وقد يتصل عدد من القرى ببعض ويربط بينها رباط القرابة أو الانتماء إلى أصل واحد ، وتميز هذه المجموعة من القرى عن مجموعة أخرى ، ويقرنون هذا التميز باختلاف في الأصل أو الصفات أو المكانة الاجتماعية أو أنواع العمل . أما عامل القرابة فهو دعامة من دعائم التركيب الاجتماعي

في الريف ، ولا يقتصر على الأسرة بمعناها الضيق ، بل يمتد إلى بقية الأقارب ممن يكونون الأسرة الممتدة عن طريق الصلة بالأب . وقد تمتد هذه الصلات فتكون مجموعة أوسع تعرف بالقبيلة أو الناحية ، يكون لها كيان معنوي وأدبي إزاء القبائل أو النواحي الأخرى بالقرية . ثم إن القرية تقسم نفسها إلى أجيال ثلاثة واضحة : الأطفال والشبان والكبار ، وبين هذه الأجيال الثلاثة نوع من التباعد الاجتماعي ، ولكل منها حقوقه وواجباته وحدوده التي لا ينبغي الخلط بينها في عرف أهل الريف . أما دعامة الجنس أو التركيب الاجتماعي في الريف ، فأمر واضح لا يحتاج إلى بيان ، ذلك أن مسألة الرجولة والأنوثة من الأسس الهامة في تقسيم العمل والتمفرقة في الآداب العامة والحقوق والواجبات .

وليست أهمية هذه الدعائم في التركيب الاجتماعي أهمية نظرية فحسب ، بل إنها تدخل في صميم الاعتبارات التي لا بد من مراعاتها في المشاريع المختلفة التي يحاول العامل الاجتماعي أن ينشئها وينميها في القرية ؛ فللعامل مع الرجال طريقة تختلف عن الطريقة في العمل مع النساء ، وخلق الكبار والصغار في مكان واحد أو تنظيم واحد أمر لا يصح في تقاليد الريف . ففي تنظيم الخدمات للقرى جرى العرف كنتيجة حتمية للإمكانيات المادية أن تقام مؤسسة واحدة لخدمة قريتين أو ثلاث أو أربع كما هو الحال في المراكز الاجتماعية والوحدات المجمعة . ولكن القرية تعتبر نفسها وحدة اجتماعية قائمة بذاتها ، ولذا كانت القرية القريبة من المركز الاجتماعي هي التي تستفيد منه ، بينما تحس القرية الأخرى أنه بعيد عنها ، ولا يدخل في نطاق وحدتها الاجتماعية ؛ ومن ثم كان الشد والجذب في محاولة التوفيق بين القرى في اختيار المكان اللازم لإنشاء مؤسسة اجتماعية واحدة لخدمة عدد منها . ومهما يكن فإن هذا الاحساس بوحدة القرية اجتماعياً يتطلب أن تمتد الخدمة والعمل امتداداً مباشراً من هذا المركز إلى القرى التابعة والبعيدة ، كما يتطلب بذل مجهود أكبر لا من ناحية المسافات فحسب ، بل لكسر هذا الاحساس الانعزالي والحصول على الاستجابة المطلوبة للعمل مع أهل تلك القرية .

ولعل من أبرز أسس العمل الميداني أيضاً فهم القيم الاجتماعية التي

تشكل وتتحكم في سلوك الناس ؛ ونقصد بتلك القيم ما يفضلها الناس ويعتبرونه ذا أثر في حياتهم ، بحيث يكون دافعاً من دوافع سلوكهم وهدفاً من أهداف نشاطهم أيضاً ؛ فالرغبة في النفوذ والهبة قيمة من القيم الاجتماعية تحفز الإنسان على العمل والسعي ، لا لمجرد الكسب المادي ، بل لمجرد ما يترتب على ذلك من نتائج تتصل بالمكانة الاجتماعية والاحترام الأدبي . وبعض هذه القيم الاجتماعية عامة في المجتمع البشري ، ولكن دلالتها ومحتوياتها تختلف من مجتمع إلى مجتمع ، ومن بيئة إلى بيئة . فالعدالة قيمة اجتماعية عامة ولكل مجتمع تنظيمات خاصة تهدف إلى إقرار العدالة ، ولكن ما يجري به عرف التقاضي لدى شيوخ القبائل في الكويت مثلاً يختلف عن نظام التقاضي والعدالة الحديث ، إذ يسود الاعتقاد لدى الشيوخ أن الشخص الذي يبادر بالشكوى قبل زميله هو المظلوم ظناً منهم بأنه ، لو لم يكن قد حاق به الغبن ، لما سارع إلى التظلم إلى الشيخ . ولذا يكون من الصعب تصويره ظالماً أو معتدياً . فكأن الأولوية في هذه الحال دليل الأحقية .

ومن أمثلة القيم الاجتماعية والأدبية في الريف العربي مراعاة الخواطر والمجاملة ، فليس بكاف أن تقدم ما يتطلبه الواجب عقلاً ، ولكن لا بد أن تتزيد في ذلك بعض التزيد أو أن تبالغ فيه بعض المبالغة ، وإلا كنت مقصراً في واجباتك واتهمت بالضيق والتزمت والتعالى . وحتى في عمليات البيع والشراء تجد التاجر قد باعك البضاعة بسعر خاص إكراماً لحاطرك أو مراعاة للقرابة والنسب التي تربطك به أو مجاملة لصديق كان معك . ومن دلائل ذلك أيضاً رغبة القرويين في استرضاء القادم عليهم استرضاء تاماً في مواجهته ، ومقابلته حيث يتوقع منهم أن يقابله في المناقشة أو الكلام ، وهذا من قيمهم الأدبية محاولين بها تفادي المواقف التي قد تثير العنف أو المشادة .

ومن أمثلة تلك القيم الاجتماعية أيضاً الاشتغال بما يسمى بالصناعات الريفية أو الصناعات الصغرى ؛ فالمزارعون يأنفون من ذلك ، ويقصد بالمزارع هنا من يملك قطعة من الأرض يزرعها هو وأولاده ويسد بها حاجاته المحدودة في الحياة ؛ ولذا كان حداد القرية أو نجارها أو من يصلح معداتها الميكانيكية كوابور الحجاز أو الطلمبات ، أقل مكانة من المزارع المالك بصرف النظر

عن الدخول في حد ذاته ، ومن ثم كان صانع الأسبلة أو الغرابيل أو الحصر شخصاً يرتاد القرية من خارجها ، وربما كان من قرية مجاورة . وقد يذهب أحد سكان هذه القرية إلى القرية الأخرى ليعمل فيها كصانع للحصر ، ولا يعمل في قريته نفسها . ويمثل هذا ما يتصل بقيم زراعة الحضراوات في بعض القرى بجنوبي العراق إذ لا يرضى المزارع العادي أن يمارس زراعة الحضراوات وإنما يتركها لأولئك « الحساوية » الذين يعتبرهم أقل منه في المرتبة الاجتماعية .

ومهما يكن فإن فهم الدوافع الديناميكية في حياة المجتمع الريفي والاتجاهات النفسية للفلاح في بيئته من أهم الوسائل التي لا غنى عنها للمشتغلين بأمور الريف ولا أستطيع أن أقول هنا إن للفلاح نفسية فطرية تختلف عن غيره من الناس ، فهذا ما لا يقره العلم وما لا ترضاه القيم الديمقراطية ؛ وإنما أود أن أشير إلى أن تكيف الفلاح بالظروف المحيطة به ، وما عاناه في تاريخه الطويل في تلك البيئات من تجارب ، وما يمر به أثناء تربيته العائلية من خبرات ، كل هذا وغيره قد أوجد لديه استجابات معينة في بعض المواقف ، وجعل بعض النزعات أو الميل أكثر صلاحية لمواجهة ظروف الحياة التي تحيط به .

ولعل من أهم الظواهر النفسية التي تعنى كل من يتعامل مع الفلاح أن يعلم أنه يتميز — حسب تعبير علم النفس — بالحساسية الزائدة في الذات ، وفي تقديره لنفسه ، ومعنى هذا أنه قليل الاطمئنان والثقة بنفسه وبمن حوله ، إذا ما أحس أن شيئاً يعرض ذاته للهجوم والانكشاف أو النقد تأذى من ذلك كل التأذى ، ولهذا فإنه يسعى في ألا يبدو أقل من غيره بأي حال من الأحوال . وآيات ذلك كثيرة ، بعضها قد يبدو أدلة تافهة ولكنها معبرة عن مدى الرغبة في عدم الظهور بمظهر القصور أو النقص . فيهم الفلاح أن يطلى البيت بالجير الأبيض من الخارج أكثر من الداخل ، وهو يخاف من أن « تكسر » كلمته مهما كلفه ذلك ، ولعلنا نعلم الكثير من المنازعات التي تقوم بين القرويين لآتفه الأسباب مما تؤدي بهم إلى قضايا طويلة الأمد في المحاكم تكلفهم أضعاف القيمة المادية للشيء الذي يختصمون عليه ، ولكنها « الكلمة » قبل كل شيء وفوق كل شيء . وقولهم « كبر الجرن ولا شماتة الأعداء » دلالة أخرى على ضعف الذات التي تحاول

أن تعوض عن هذا الضعف بالظهور . ولعل شعوره بعدم الطمأنينة في ظروف معاشه وفي علاقته بالناس كان من بين العوامل التي أدت إلى نمو الحساسية وشدتها في الذات ، واتخاذها وسيلة من وسائل التكيف والدفاع عن الكيان وسط زعازع الحياة . وربما كان للتربية العائلية أثر كبير في نمو هذه الظاهرة النفسية . والغالب أنه في المجتمع الأبوى الذي يقوم على سيطرة الأب وهيئته وتباعده عن أولاده ، ينشأ تنافس بين الإخوة على الرغبة في الحصول على رضى الأب ومحبه والاستئثار بها دون الآخرين ؛ فهناك تنافس بين الإخوة وغيره يستغلها الوالدان بل يزيدان من حدتها دون وعي بين الحين والآخر كوسيلة من الوسائل في تربيته وإجبارهم على التزام السلوك الاجتماعي المطلوب . وفي العلاقة بين الإخوة والأنداد بين القرويين يبدو مظهر الغيرة والتنافس والرغبة في أن يظفر الواحد منهم على الآخر بصورة جلية ، بل يبدو أن المهم ليس الموضوع نفسه أو الحصول على أمر ما ، بقدر ما هو نكاية الخصم أو الغريم . فالخصومة بينهم قد تبدأ موضوعية ولكنها تنقلب كيدية في معظم الأحيان ، ولعل الشاعر العربي كان يتمثل هذه الظاهرة النفسية حين قال :

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

وتبدو هذه الغيرة التي هي مظهر من مظاهر حساسية الذات والشعور بالنقص في تلك الحزازات والضغوط القائمة بين القبائل أو النواحي في الريف ، كما تبدو في الإسراف في الإنفاق على الأفراح أو المآتم أو مناسبات الضيافة حتى لا يتعرض الإنسان للظهور بمظهر القاصر إزاء أقرانه ، ولذا لا بد له من أن يسرف حتى يبرزهم ويتفوق عليهم (*) .

بيد أن موقف التنافس والغيرة والكيد بين الإخوة والأنداد ينقلب إلى رغبة ملحة في الإرضاء وكسب العطف حين يجد القروي نفسه في موقف يمثل علاقة الابن بأبيه . وفي مثل هذا الموقف ينحصر كل همه في أن يبدى من السلوك أو

(*) انظر : Ammar, Hamed, *Growing up in an Egyptian Village*. London,

Routledge & Kegan Paul, 1954

Oeser, O.A., and Emery, F., *Social Structure and Personality in a Rural Community*. London, Routledge & Kegan Paul, 1955

الاستجابات ما يهيئ له ضمان الرضى والثناء من الجانب الآخر . ولعل أوضح هذه المواقف سلوك القرويين حين يتحدث إليهم الإخصائى الاجتماعى أو المرشد الزراعى أو أى موظف حكومى ، فإنهم يوافقون على كل ما يقوله ويبدون الرغبة فى تنفيذها من الناحية الظاهرية . وهم فى كل هذا يحاولون كسب عطفه ورضاه دون أن يعنى ذلك ارتباطاً جدياً بين ما يظهر من عاطفة وبين ما يطلب إليهم من عمل أو يوجه من إرشاد . ويتجلى ذلك أيضاً فى المظهر الحسن الذى يقابلونك به عند زيارة بيوتهم ، فكثيراً ما وجدت أنه حينما تعتزم زيارة القرويين يتهيأون لذلك أحسن تهيئة ممكنة فينظفون بيوتهم ، ويستعيرون أدوات الشاى أو المفروش من جيرانهم ليظهروا بالمظهر الذى يرضينا عنهم . وفى كثير من إجابات القرويين عن الأسئلة التى توجه إليهم إنما يقدمون لك الإجابة التى يتوقعون أنها ترضى السائل ، لا الإجابة التى تطابق الحقيقة ، ومثل هذه النزعة للإرضاء من الأمور الهامة التى لا يجب أن ينخدع بها العاملون فى ميدان الإصلاح الريفى ، بل عليهم أن يسبروا غور الدوافع والميول الحقيقية التى تختفى وراء هذه النزعة الظاهرية .

ويتصل بهذه الرغبة فى إرضاء الأب أو ما يمثل صورته فى موقف ما ، نزعة القرويين نحو السلطة والقيادة بوجه عام . وقد سلفت الإشارة إلى أن سلطة الأب فى الأسرة الريفية تتميز من الناحية الشكلية الخارجية بنوع من الحزم والتباعد . وهذا النوع من العلاقة يترك فى نفس الناشئ فى الريف نزعة خاصة نحو السلطة فيتوقع منها أن تكون على نمط السلطة الأبوية . وهو لا ينتظر من القيادة الألفة ورفع الكلفة والمزاح ، بل ينظر إليها على أنها جادة حازمة وإلا رماها بالضعف وسقطت هيبتها لديه . وربما كان للظروف التاريخية أثر فى هذا ، إذ كان لموقف الحاكم إزاء المحكوم أثره فى نظرة الفلاح إلى مهابة السلطة . وقد أشار إلى شىء من هذا عبد الرحمن الجبرى مؤرخ الحملة الفرنسية ومحمد على حين وصف شعور الأهالى نحو الملتزمين الذين كانت تعهد إليهم الحكومة فى ذلك الوقت بجمع الأموال والضرائب المقررة على الأراضى الزراعية وبين كيف كان الفلاحون يهابون ويحترمون الملتزم القوى « أما إذا التزم بهم ذو رحمة ازدروه فى أعينهم واستهانوا به وبخدمته وماطلوه وسموه بأسماء النساء وتمنوا زوال التزامه » .

ويتضح من الجلسات والاجتماعات مع الفلاحين أن إدارة الجلسات بالمعنى المنظم أمر لا يمكن انتظاره أول الأمر ، بل من المألوف أن يقاطع بعضهم بعضاً في الحديث ، وترتفع أصوات المعارضين أو المخالفين ، وقد يصل الأمر إلى التهديد بالخروج من الاجتماع . وعلى العامل معهم أن يتوقع كل هذا ولا يضيق صدره به ، وألا يصبر على النظام بالمعنى الذي يفهمه في الجلسات الأولى وأن يجعل ذلك غاية يصل إليها في مدى غير قصير . فهذه الطريقة المختلطة في المناقشة هي منهج القرويين العادى ، يبدى كل رأيه حين يشاء ومتى يشاء في الاجتماعات العادية . ولا شك أن في هذا تنفيساً عنه وتأكيذاً لذاته . بل إن من تقاليدهم أن ينضم أى شخص عابر إلى أى اجتماع عام يسمع عنه أو يمر به فيجلس معهم دون أن يدعى ، ويدلى برأيه دون أن يسأل . ولذا كان من الصعوبات في تنظيم الجمعيات التعاونية أو مجالس جمعيات الإصلاح الريفي مثلاً مجيء أشخاص لا ينتمون للمجلس ليشاركوا في المناقشات . وفي مثل هذه الحالة يصعب أن يطلب إلى مثل هؤلاء الأشخاص مغادرة الاجتماع لأنهم ليسوا أعضاء فيه ، بل ربما يمكن أن يتركوا في الاجتماع أو يصرفوا بطريقة لا تخدش إحساسهم إذ أن عدم إشراكهم في مثل هذا الاجتماعات أمر لم يألوه من قبل ، وربما يؤدى إلى صرف هؤلاء الناس أو من يتصل بهم عن الاشتراك في المشروعات الجماعية .

ومن الأمور التي يلحظها الإنسان في مثل هذه الاجتماعات العامة لدى القرويين ، أنه إذا أعلن أحدهم رأياً من الآراء في اجتماع عام فإنه يتمسك به تمسكاً شديداً ولا يتراجع عنه مهما حاولت إقناعه ، ففي تراجمه « كسر لكلمته » ولذا كان من الأفضل أن يتصل منظم الاجتماع اتصالاً شخصياً بأصحاب وجهات النظر المختلفة مع كل على حدة قبل الاجتماع ، وذلك لكي يتبين آراءهم ويحاول التقريب بينها ، وبذلك يتفادى إثارة الصخب والخلاف في الاجتماع . وهناك طريقة يلجأ إليها الريفيون من أهل الصعيد في اجتماعاتهم العادية حين يعقدون مجالس للصالح بين المتخاصمين ، وهى طريقة « الملاقاة » وذلك بأن ينبرى شخص من الحاضرين في المجلس لذاك الذى يحتد في خصومته ، فيخرج به عن مكان الاجتماع ويتصل به اتصالاً فردياً يحدثه فيه عن صلابته رأيه ووجوب رجوعه عن

هذا الرأي ، أو الإذعان لحكم الجماعة . ومثل هذا الموقف الشخصى المحدد يهدئ من تمسك المخالف برأيه ويمكنه من أن يتزحزح عن موقفه فى جو لا يشعر فيه بالغضاضة ، بل أنه يشعر بأنه موضع الاهتمام ، وأنه نظير هذا الاهتمام الزائد لا بد أن يؤدى خدمة لهذا الشخص الذى تكلف جهد « ملاقاته » فيصدع بأمر الجماعة ويوافق على آرائها .

أردت بهذه النقطة أن أثير أهمية العامل الشخصى فى وسائل الدعوة والإقناع فى أى مشروع من المشاريع التى يقوم بها العامل فى الريف . فإظهار الاهتمام الشخصى بالقرية كوحدة معنوية ، أو بالعائلة أو بالفرد ، واتخاذ العبارات المناسبة لذلك أقوى أثراً من التحدث فى صورة عامة . فلا غضاضة من استعمال كلمة « علشان خاطرى أريد أن تهتم بالموضوع » أو « المدير شخصياً يريد أن يعرف آراءكم . . . » . وقد وجدت فعلاً أثناء إجراء أحد الاستبيانات أهمية هذا العامل الشخصى ، فقد عبر أحد الفلاحين عن مدى إعجابه بتلك الجهة الرسمية التى تهتم باستطلاع آرائه الشخصية فى تلك المواضيع . ولعل جانباً من قيمة هذا الاهتمام الشخصى وقوة دفعه يرجع إلى فقدان الصلة بين الشعب وأولى الأمر طوال حقبة طويلة من تاريخه . ولا شك أن تنمية هذه الصلة والاهتمام الشخصى بين المسؤولين أو العاملين فى ميدان الريف لا تقتصر على تأثيرها فى الاستجابة فحسب ، بل أنها أداة تعليمية لإشعار الفلاح بأن الموظف أو الحكومة بصورة عامة ليست قوة عليا منفصلة عنه ، وإما هى تنظيم خاص لخدمته ورعايته .

ووسيلة صغيرة فعالة فى تشجيع بعض المشروعات فى الريف لها صلة بهذه الناحية فى التعامل مع القرويين هى وسيلة الصور الشخصية . فالقرويون يهتمون اهتماماً كبيراً بصورهم ، فمن أكبر المغريات لتردد القرويين على المكتبة أو على النادى فى الريف وجود صور بعضهم معلقة على الحائط فى تلك الأمكنة ، فهذا يدعوهم ويدعو غيرهم من أقاربهم ومعارفهم الى ارتيادها ، ولا شك أن الاهتمام والتقدير الشخصى من أهم الدوافع ، لا فى الجماعات الأولية الريفية فحسب ، بل فى الجماعات الثانوية فى البيئات الصناعية أيضاً . ولعل التجربة التى تمت فى مصنع فى الولايات المتحدة خير دليل على ذلك . فقد أراد الباحثون أن يروا قيمة

مختلف العوامل في تحسين إنتاج مجموعة من العاملات في ذلك المصنع وتسجيل نتائج هذه العوامل ؛ فأنقصت ساعات العمل ، وحسنت الإضاءة ، وزيدت أوقات الراحة في أثناء العمل . وقد كان لهذه العوامل أثرها في تحسين الإنتاج وزيادته . ثم بعد مدة عادت ظروف العمل كما كانت وألغيت كل هذه التسهيلات ، ومع ذلك فقد ازدادت كمية الإنتاج عن ذي قبل وعمما كانت عليه أثناء تلك التسهيلات . وقد وجد الباحثون بعد مقابلة العاملات وسؤالهن أن الدافع الذي أدى إلى استمرار تلك النتائج إحساسهن بأن أرباب المصنع كانوا مهتمين بهن اهتماماً شخصياً وأن الرقابة عليهن لم تكن رقابة عمياء (*) .

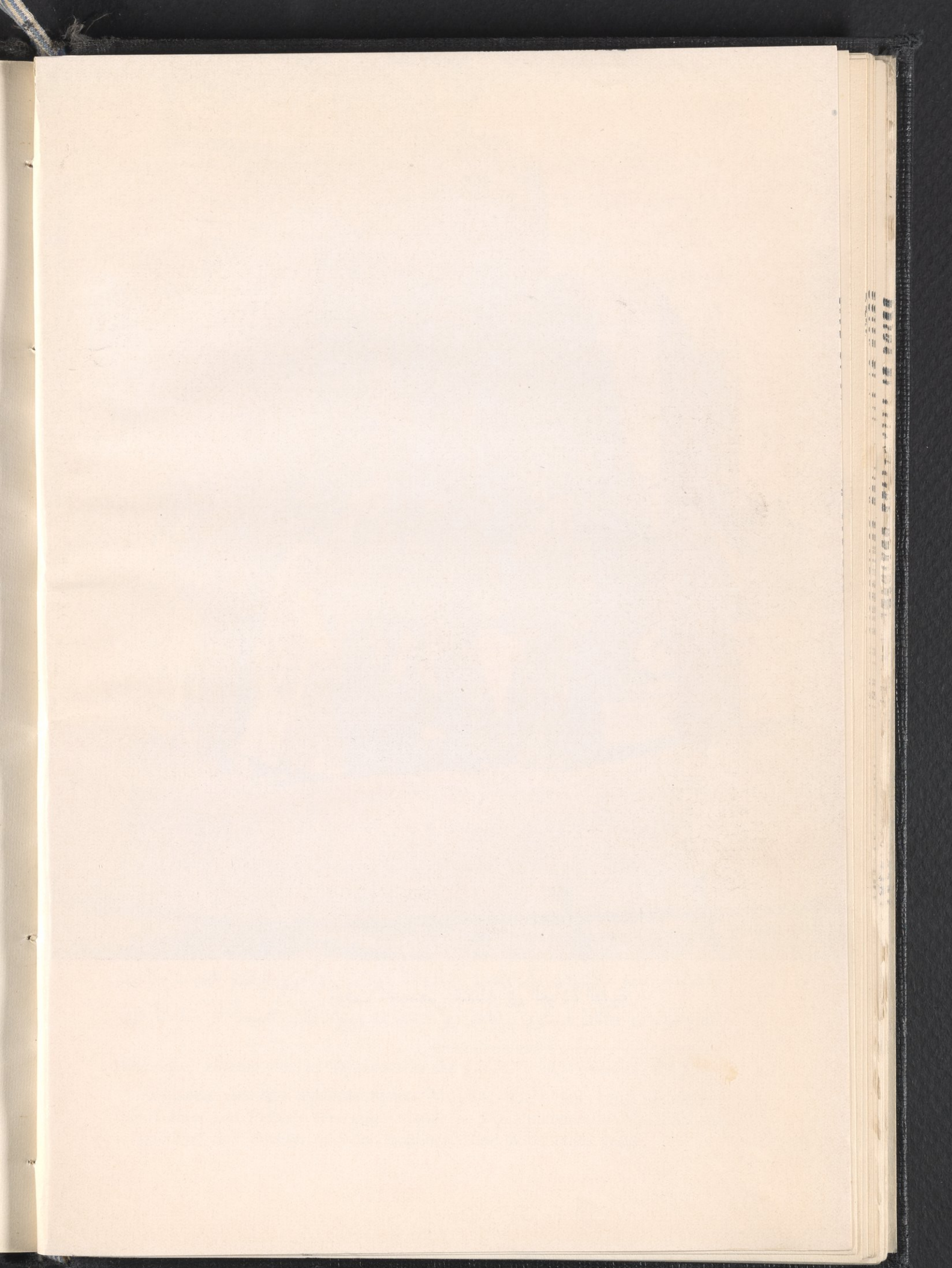
وأرجو ألا يفهم من تأكيدى لأهمية الحزم في إدارة المناقشات أو محاولة تفادى الاختلافات في وجهات النظر في الاجتماعات أنني لا أؤمن بالتربية الديمقراطية القائمة على احترام الاختلاف في الرأي وإعطاء الحرية لاختيار ما تراه الجماعة في أمورها . ولكن المنهج الديمقراطي هو الذي نهدف إلى الوصول إليه نتيجة لنمو الجماعة نمواً يبدأ من المرحلة التي نجدهم فيها ، ولا بد من الاعتراف بمقومات الجماعة ومحركاتها كما هي ومعرفة أوضاعها وقيمها الحالية ، واستغلالها وتوجيهها إلى الهدف المنشود . فلا يستطيع الإنسان أن يبدأ في عمله مع الجماعة كما لو كانت هذه الجماعة صحيفة يبضاء يريد أن يطبع عليها تصورات وقيمته . وإذا كان هذا من الأمور المسلم بها في سيكولوجية الجماعات فلا بد من وضعه موضع الاعتبار أثناء العمل والتنفيذ . ومن أمثلة ذلك أن المركز قد أقام منحلاً حديثاً في مكان عام بإحدى القرى ليشهده الصادر والوارد ، وليثير في القرويين الرغبة في تربية النحل ، وليضع من يشاء منهم صندوق نحل في ذلك المكان . ولكن أحد القرويين ممن رغبوا في تربية النحل قد اعترض على المكان لاعتقاده بأنه مكشوف وأن العسل شأن المأكولات الأخرى عرضة للحسد ولا بد أن يكون في مكان مستور . هذا هو اعتقاده وسواء كان صحيحاً أو خاطئاً فإن

Dickerman, Watson, "Group Dynamics in the U.S.A." : in : Unesco's (*)

Fundamental and Adult Education Bulletin, Vol. VI, No. 1, Jan. 1954, pp. 22-27.
Daniel Katz and Herbert Hayman. "Morale in War Industries in Newcomb and Hartley," in : *Readings in Social Psychology*. New York, Holt, 1947.



الوقت المخصص للنساء في العيادة الطبية



الناس يعيشون باعتقاداتهم كما يعيشون لها ، ولهذا لا ينبغي لمن يعمل مع أهل الريف أن يهمل أهمية هذه المعتقدات بصرف النظر عن حكمه الشخصي أو حكم العلم عليها (١) .

ثم إن نفسية الجماعات ليست واحدة ، وإنما تختلف في تشكيلها نتيجة لظروف البيئة والعوامل التاريخية . ولا شك أن كثيراً ممن يتحدثون في مصر أو في العالم العربي عن سيكولوجية الجماعات ينسون أهمية العوامل التاريخية في تكوين بعض الدوافع النفسية نتيجة لهذه العوامل . ولى مطلب عام عابر في هذا المجال بدعوة المشتغلين بعلم النفس الاجتماعى إلى جعل دلالات هذا العلم متصلة بتاريخ مصر ، ودعوة المشتغلين بالتاريخ فيها إلى جعله متصلاً بأسس الدراسات النفسية (٢) .

فلو تصورنا مرة أخرى موقف الناس من السلطة الحكومية لرأينا أن استجابة القرويين لها ذات مظاهر نفسية ثلاثة أساسها ما لتاريخ السلطة في مصر من تأثير . وتلك المظاهر هى الاتكال والهيبة والخوف ، وهى مظاهر معروفة يمكن التدليل عليها بأمثلة عدة ، وهى حصيلة لتلك المواقف التاريخية التى أتخذها أرباب السلطان الحكومى إزاء الشعب وكذلك للدور الذى قاموا به فى عمليات الإصلاح .

أما الاتكال فانه واضح فى انتظار أهل الريف أن يبدأ الإصلاح دائماً من الجهات الحكومية . ولهذا الاتكال جانب آخر وهو إلقاء المسؤولية على الحكومة أو على جهة خارجية . وربما كان هذا من النزعات العامة للتخلص من مواجهة الموقف وتبريره ، ولعل إسناد الحوادث إلى القدر نوع من إزاحة المسؤولية عن النفس إلى قوة خفية خارج النفس . وقد تبدو إزاحة المسؤولية عن النفس حتى فى أقوال كثير من الطبقة المثقفة حين ينسبون كل تقصير أو عجز فى مساهمتهم فى الإصلاح الاجتماعى إلى فساد الوضع الاقتصادى . حقاً أن الوضع الاقتصادى من أهم العوامل فى حياة المجتمع ولكن إسقاط كل شئ عليه حيلة نفسية لتبرير القصور فى تأدية المسؤولية الملقاة على عاتق الفرد .

(١) Leighton, Alexander, H; *The Governing of Men*. Princeton, Princeton University Press, 1946.

(٢) Erickson, Eric. *Childhood and Society*. London, Imago, 1950. pp. 120-123.
Mannheim, Karl. *Man and Society*. London, Routledge & Kegan Paul, 1948.

وقد تحدثت عن مظهر هيبة السلطة ، أما الخوف منها والتشكك في نوع العلاقة بها فهو معروف أيضاً . وأذكر على سبيل التذكير تلك القروية التي انصب الماء الساخن على ذراع طفلها وأرادت أن تعالجه والمستشفى قريب منها ، ولكنها لم تفعل . ولما سألتها إحدى مبعوثات المركز عن السبب قالت إنها تخشى سؤال الطبيب عن سبب الحرق ، وإنه ربما يكتب لها محضراً يؤدي إلى تغريمها نتيجة هذا الإهمال . هذا وأمثاله في كثير من المواقف تبين لنا بوضوح كثيراً من العقبات النفسية التي لا بد من التغلب عليها ، حتى يمكن أن يستفيد الفلاح الفائدة المرجوة من المؤسسات الحكومية المختلفة التي ترمى لخدمته .

وأحب أن أختم هذا الفصل بعرض لبعض الخواطر العامة حول عملية التغير الاجتماعي واتجاهاتها ووسائلها ؛ فقد تكون إحدى وسائل هذا التغير تعديل في الأفكار الموجودة ، فيلجأ المصلح الاجتماعي إلى نشر الفكرة الجديدة لتحل محل الأفكار القديمة ، وقد تكفي مجرد الدعوة اللفظية لهذه الفكرة إلى نشرها وذلك إما عن طريق المحاضرة أو المناقشة . ولا شك أن فنّ القول من الفنون الفعالة في التأثير في أفكار الريفيين ، ومهما ضاق بعض الناس بقيمة الإرشاد والإخبار فإنه سيظل وسيلة لا غنى عنها في المجتمعات الريفية ، وإن لم تكن كافية طبعاً . وقد يكون الأفراد وسيلة أخرى لإحداث هذه التغيرات . فهناك من الأفراد من هم أكثر استعداداً من غيرهم لتقبل المؤثرات الخارجية ، وذلك لعوامل ذاتية في تركيبهم النفسي وميولهم ونزعاتهم الخاصة ، ومن الناس من هو بحكم شخصيته أو مكانته أكثر تزمناً وضيقاً بكل جديد . ولذا كان من المهم التعرف على هذا النوع من الشخصيات الديناميكية التي يمكن البدء بها في إدخال التغيرات الجديدة . وهناك نوع من التغيرات لا يأتي إلاّ عن طريق المستحدثات المادية أو الآلات الحديثة ، فالتفاعل بين هذه الآلات وبين الشخصيات التي تستعملها أو المجتمع الذي تشيع فيه يخلق أفكاراً وميولاً جديدة . ولا شك أن كثيراً من القيم الحديثة ظهرت نتيجة لظروف الصناعة والإنتاج في المجتمع الصناعي . فليس لمراعاة النظام والمحافظة على المواعيد قيمة في حد ذاتها ، وإنما هي قيمة من القيم التي نشأت عن اختراع الساعة وعن أهمية ذلك في إدارة الآلات التي لا بد من رعايتها رعاية

منتظمة في أوقات محددة وإلا فسدت ولم تعد صالحة للعمل . ففي هذه الحالة نجد أن أمراً مادياً معيناً يملئ أفكاراً خاصة وتنظيمات معينة . ويقولون بحق إن انتشار الصباغة في أوروبا في القرن الثامن عشر كان من العوامل التي أدت إلى بلورة فكرة المساواة كأحد أسس الديمقراطية ، فالمقدرة على ارتداء ثياب ملونة كان قاصراً على طبقة معينة ولكن انتشار الصباغة عن طريق الآلات وسهولة الحصول عليها ورخص أسعارها نسبياً أدى إلى إلغاء هذه التفرقة في المظهر ؛ كما يقولون أيضاً إن صقل سطح المرأة كان من العوامل التي أدت إلى اهتمام المرء بهندامه ومظهره وإلى الاهتمام أيضاً بدراسة الشخصية وما يطرأ عليها من تغيرات (*) . هذه هي الوسائل الرئيسية الثلاث في إحداث التغير الاجتماعي في محيط ما : نشر الأفكار الجديدة ، واستغلال العناصر البشرية التي تتقبل شخصياتها بسهولة المؤثرات الجديدة ، وإحداث تغييرات مادية ؛ وإدخال أدوات جديدة في « حضارة » القوم تخلق لديهم نزعات لم تكن موجودة . وهذه الوسائل الثلاث ضرورية وكل منها لازم وليس بكاف وحده في إحداث التغير الاجتماعي والوصول به إلى أبعد مداه . ولذا كان لا بد من استخدام هذه الطرق جميعاً ، ولا داعي للمناقشة في أيها أكثر جدوى وأقوى أثراً ، إذ أن هذا يتوقف على طبيعة الموقف القائم وعناصره الحالية .

وهناك رأيان متضمنان في اتجاهات التغير الاجتماعي كما يتصوره القرويون أنفسهم : هناك رغبة ملحة في تقليد أهل المدن بما في حياتهم من بهجة ورخاء نسبي ونظافة ؛ وهناك اتجاه آخر حريص على المحافظة على بعض تقاليد أهل الريف حتى لا يصيبها ما أصاب بعض جوانب حياة المدن من فساد . والحقيقة أن حياة المدن هي مطمع أنظار أهل الريف ولكن موقفهم النفسي منها موقف ثنائي : يرغبون في بعض جوانبها ويميلون عن بعضها الآخر ، ولكنها على أي حال تستهويهم وتشده خواطهم .

وينعكس هذان الاتجاهان في تصورات المصلحين والعاملين في التربية الأساسية أنفسهم ، فمنهم من يحاول إحياء التقاليد الريفية كما هي ، معتقداً أنها

خير وسيلة لهضة الريف وإنعاشه ، فالزمر البلدى هو الموسيقى التى ينبغى استخدامها لتشنيف آذان الريفيين ، ولعب العصا والسيجة يجب إحيائه وتنظيمه فى الأندية الريفية ، والبناء من الطين النى والغاب والجريد أجمل من البناء بالطوب الأحمر والخشب ، وقصص أبى زيد الهلالي أكثر متعة للقرويين من القصص الحديثة . ويبدو أن هذه الطائفة من الناس لديها نزعة رومانتيكية زائدة نحو الإعجاب بالقديم . ولكنهم بهذا يتجاهلون طبيعة الموقف الاجتماعى القائم فى القرية التى اتصلت بالمدينة ورأت طرفاً من ألوان حياتها وأعجبت به ، واقتبست منه ، وتحاول تقليد بعضه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا . هذه حقيقة من حقائق التغير الاجتماعى فى القرية المصرية ولا يمكن إنكارها والعودة إلى الماضى على زعم أن القرية لم تتأثر بهذه المؤثرات المدنية . ولقد سمعت أحد هؤلاء يتحسر على وجود حجرة استقبال على الطراز المدنى فى بيت ريفى ويتمنى أن تعود « الدواوير » لأداء هذه الوظيفة . أما الاتجاه الثانى وهو اتجاه معروف أيضاً فهو محاولة فرض الإصلاحات الحديثة على الريفيين فرضاً ، وذلك حتى يستطيع مستوى حياتهم أن يقترب من مستوى حياة المدن دون دراسة أو بصر بالمراحل الصالحة لمثل هذه الإصلاحات .

ومشكلة التغير الاجتماعى تدعو المرء دائماً إلى الإجابة عن السؤال التالى : كيف أن الفلاح لا يؤمن بالعلم وحقائقه ؟ لا جدال لدينا نحن أن ماء الترع به ديدان أو ميكروبات ، وأن تهوية الغرفة من الشروط الصحية للبيت ، وأن وضع التراب على الجرح قد يسبب الإصابة بمرض التنتوس ، لكن الفلاح لا يؤمن بهذه الحقائق العلمية . ذلك لأن الفلاح قد ألف هذه الأمور التى يسير عليها واطمأن إلى تلك الحلول رغم أنها تدعو إلى عدم الطمأنينة فى نظرنا . ولذا كان لا بد فى عملية التغير الاجتماعى من إبدال نظم الطمأنينة القديمة بنظم جديدة ، تصبح نظم طمأنينة حقيقية بكل ما فى هذه الكلمة من معان . ولا يتأتى ذلك إلا من طريق إدخال هذه الإصلاحات إدخالاً يشعر الناس بأنها جزء من حياتهم ، وبذلك تصبح من عاداتهم المألوفة التى يبعث تكرارها على الطمأنينة .

ولا بد أن نقرر أن النشاط فى العمل الميدانى فن من الفنون يعتمد إلى حد غير

قليل على ما للفرد من شخصية وإيمان . أما نوع الشخصية فأعتقد من خبرتي أن الشخصية الحية الدافقة المنبسطة هي أصلاح أنواع الشخصيات للعمل في الريف المصرى ، إذ تستطيع أن تتفاعل تفاعلاً سريعاً قوياً مع شخصيات أهله . والملاحظ أن القدرة على الكلام والاسترسال فيه — إلى الحد المعقول طبعاً — من الصفات التي تؤهل بعض أهل الريف لمراكز القيادة بينهم ؛ ومن المرغوب فيه أيضاً أن تتميز الشخصية بالحصافة والاتزان فإن الوقار من السمات التي تجعل للمرء وزناً وأثراً لدى القرويين . أما الإيمان فهو أن تتفاعل عواطفه مع أفكاره ومفاهيمه وأن يرتبط كلا المستويين بالآخر ارتباطاً كاملاً . ولقد خبرت بعض المشتغلين بخدمة الريف فوجدت منهم فهماً لكثير من الأسس النظرية التي ينبغي أن يتبعوها ، لكن تبين لى أن ثمة خلفاً بين هذا الفهم النظرى وبين ما يقومون به فعلاً . فلا بد للعامل في ميدان الريف من أن يطبق أسسه ومفاهيمه تطبيقاً عملياً وإلا افتقد حلقة أساسية من حلقات الثقة بينه وبين الناس ؛ ومن أمثلة هذا الخلف ما رأيت من استمرار عرض الأفلام السينمائية أثناء إقامة الصلاة بالقرية أو التدخين أثناء تلاوة القرآن أو الخلط بين مصلحته الخاصة من تأخير في تسليم علاوة الدرجة في حديث له مع القرويين عن ملء استمارات الجمعية التعاونية للحصول على الأسمدة والسلفيات ، فأمر علاقته ليس من الأمور التي تثير اهتمام القرويين (*) .

هذه بعض الأسس والمفاهيم العامة التي يلزم مراعاتها وتقديرها والإيمان بها للخدمة الاجتماعية في الريف المصرى ، وربما ينطبق الكثير منها على الريف العربى عامة .

والمتواتر بيننا في هذا الصدد أن هؤلاء جملة من الأسس والمفاهيم التي تعتبر أدوات صالحة للعمل في بيئات غير بيئاتنا العربية ، وما زلنا في حاجة ماسة إلى أن نتبصر في تجاربنا وأن نتعلم منها الأسس الصالحة لمجتمعاتنا . وهي في هذه المرحلة من التطور الاجتماعى . ولعلنا نمر في ميادين الخدمة الاجتماعية بنفس الدور الذى

(*) لمعرفة الأساس من الصفات والمهارات والخبرات اللازمة للمشتغل بأمور الخدمة والتنظيم الاجتماعى انظر

يمر به علم النفس حين يتحدث أو يكتب المشتغلون به عن مراحل النمو النفسى للأطفال أو المراهقين ، فيذكرون ما ورد فى كتب الغربيين من خصائص النمو فى مراحل المختلفة مغفلين أثر التشكيل الاجتماعى لبيئتنا فى ظهور هذه الخصائص أو فى ظهور غيرها . وربما كان هذا أمراً طبيعياً فى بداية الطريق . ومثل هذا حادث أيضاً فى كثير مما كتب عن فن خدمة الجماعة أو الفرد (*) . ومن ثم تبدو ضرورة الاستمرار فى بلورة أسس العمل الميدانى فى الريف بما يتفق مع ظروفه وأوضاعه الخاصة .

(*) من الكتب المفيدة فى هذا الميدان كتاب ؛ حامد شاكر ، «فن خدمة الجماعة» ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٤ . ورغم القيمة الكبرى لهذا الكتاب إلا أن بعض أسسه تحتاج إلى تعديل فى تطبيقها على البيئات الريفية .

الفصل الثالث

مراحل العمل الميداني

مرحلة التعرف والدراسة

سوف نقسم مراحل العمل الميداني إلى خمس مراحل ، هي التعرف والدراسة والتصميم والتنفيذ والتقييم ؛ ولا شك أن هذه المراحل وثيقة الارتباط ببعضها ، وما التقسيم إلا نوع من التصنيف يضم جملة من ألوان النشاط ذات طابع خاص إلى بعضها ، ولكنها عملياً تتصل ببعضها أوثق اتصال .

مرحلة التعرف :

وهي مرحلة تسبق بطبيعتها غيرها من المراحل ؛ وهدفها أن يحسن العامل الاجتماعي طريقه في القرية بصورة عامة ، وأن يألّفه الناس ويألفهم . ويتطلب تحقيق هذا الغرض تعريف الناس بشخصه وبمهمته تعريفاً قريباً من أذهانهم فليس من الحكمة في شيء أن يتحدث الإخصائي الاجتماعي أو المشتغل بالتربية الأساسية عن عمله في صياغة فنية ، كخدمة الجماعة أو مساعدة الناس ليساعدوا أنفسهم أو غير ذلك من العبارات الغامضة التي لا تدل على شيء لدى الفلاحين ، وإنما لا بد أن يتصل ذلك التعريف بمدلّولات حياة المخاطبين اليومية . ومن المستحسن أيضاً أن تكون هذه المرحلة من العمل مرحلة فيها شيء من الاسترخاء ، وأخذ الأمور بمأخذ غير محدد ، إذ أن هذا الهدوء والاسترخاء ضروريان لتأسيس العلاقات الاجتماعية ، وتنميتها تنمية لحمتها الثقة وسداها التفاهم ، وبخاصة إذا تذكرنا أن الفلاح سريعاً ما تأخذه الريبة

ويتولاها الشك ، إذا ما تبين إلحاحاً من غريب عليه في أمر من الأمور . ولهذا فإن الأفضل أن يكون شعار العامل الاجتماعى في هذه المرحلة « خذ أكثر مما تعطى » .

ولعل من الأهداف المهمة لهذه المرحلة معرفة أسماء بعض القرويين وشخصياتهم وبعض المعلومات المبدئية عن أمزجتهم ومشاربهم . وهذه المعرفة الفردية الشخصية القائمة على أساس الصداقة من خير الوسائل المحسوسة التى تشعرهم بالاهتمام الشخصى . والاعتراف بشخصية الفرد لا يقل أهمية لديه عن المنفعة المادية البحتة (*) .

ولا بد أن تشمل مرحلة التعرف جهات مختلفة رسمية وأهلية ؛ فزيارة عمدة القرية ومشايخها أمر واجب ، وكذلك نقطة البوليس ، ومكتب البريد ، والمدرسة ، والوحدة الصحية ، أو غيرها من المؤسسات الحكومية الموجودة . إذ أن المشتغلين فى هذه المؤسسات يقومون فعلاً بخدمات للقرية ، ولديهم معلومات عنها أو أحكام خاصة عليها تفيد القادم الجديد عليها . وهم على أى حال العناصر الموجودة التى لا بد من التعاون بينها لإنعاش القرية وتنفيذ ما يراد تنفيذه بها من مشروعات .

ثم إنه لا بد من التعرف على قادة القرية الطبيعيين الذين يعتبرون عناصر فعالة فى تكوين رأى العام والتأثير فيه . وفى كل قرية من القرى ، بل فى كل جماعة من الجماعات ، قادة طبيعيون نصبوا أنفسهم للقيام بهذا الدور وتقبلتهم الجماعة أيضاً ليعبروا عن آرائها واتجاهاتها . وليس من المهم أن يكون هؤلاء القادة من النوع الذى يرغب فيه المصلح ، لكنه لا بد من الاعتراف بهم والاستفادة منهم .

وهناك نوعان من التركيب الاجتماعى للقرية المصرية فى هذا الصدد . يتميز التركيب الأول بتماسكه ووضوح الزعامة فيه ؛ فما تلبث أن تحس القرية بقدوم

(*) لا أحب أن أدخل هنا فى بعض المسائل الأكاديمية الخاصة بذويان الضمير الفردى والذاتية فى الضمير الجماعى فى المجتمعات البدائية والريفية ، فقد أثبتت الأبحاث الأنثروبولوجية الحديثة غير ذلك . وإذا كان كيان الأسرة ونفوذها مهيمناً على الفرد فى بعض مواقف الضبط الاجتماعى بالريف إلا أن للفرد ذاتية يلح فى تأكيدها أحياناً ، ويجب أن يعترف بها أحياناً أخرى . هذا فضلاً عن حساسية الذات فى المجتمعات الريفية المصرية التى أشرت إليها فى الفصل السالف .

شخص إليها حتى يتصدى هؤلاء القادة لمقابلته وضيافته والتحدث إليه ، شاعرين بأن هذا من مسؤولياتهم الاجتماعية ، ولو أنك سألت عدداً من الناس في مثل هذه القرية عن كبار القوم ، أو وجوه القرية وأعيانها ، لوجدت الاتفاق كبيراً في القائمة التي يقدمونها لك . ولعل مثل هذا السؤال من الطرق المفيدة لحصر أسماء من تجب زيارتهم من هؤلاء القادة .

أما التركيب الثانى فإنه يوجد فى القرى التى تمر فى مرحلة من التخلخل الاجتماعى تضييع فيها معالم الزعامات القديمة ويتشكك الناس فى قيمة من نصبوا أنفسهم لهذا الدور ، ونتيجة لذلك يكثر عددهم ويقل تأثيرهم . ويعزى ذلك إلى عوامل متعددة منها تأثير التعليم الحديث ، وتفتت الملكيات ، والاتصال بالمدن ، وفى مثل هذه القرى تكون إحدى المهام الكبرى للإنعاش الاجتماعى تكوين طائفة من القادة وتدريبهم وتشجيعهم فى مواقف مختلفة تهى لهم التفاعل الواسع مع الناس ، وتحمل المسؤوليات فى مشروعات الإصلاح الريفى ؛ إذ مهما تكن طبيعة الإصلاح فلا بد من سيرها ودفعها عن طريق التنظيم وعمل الجماعات لضمان استمرارها وانتشار تأثيرها (*) .

وليس معنى وجود قادة فى قرية من القرى المصرية أنهم جميعاً متفقون فى تصورهم لأدوار القيادة أو فى آرائهم واتجاهاتهم ، بل إن افتراض خلافهم افتراض عملى له جداوله فى هذه البيئات ، ومن ثم كان التعرف عليهم جميعاً وزيارتهم شخصياً من الأمور الواجبة . وربما كان سوء الظن عصمة وحسن الظن ورطة فى هذه الحالات . وفى مثل هذه الزيارات يستطيع المشتغل بالخدمة الاجتماعية أن يشرح لهؤلاء القادة وظيفته ، وما ينتظره منهم من التعاون والمؤازرة ، إذ أنهم أدركوا بظروف القرية وأحوالها أكثر منه ، ويؤكد لهم أنه سيكون أداؤهم الاتصال بهم ، وأنهم سيمثلون حلقة الوصل بينه وبين بقية أهالى القرية .

ثم إنه ربما تتعدل فكرة العامل الاجتماعى عن شخصيات القادة وقيمتهم فى المساهمة الإيجابية فى مشاريع الإصلاح فيما بعد ؛ فهناك فى الريف نوع من القادة يمثل قيم الحياة وطابعها ، ويقدره الناس لهذه الصفات بالذات ، وربما

لا تتفق هذه الصفات مع ما يأمله المصلح من مشاركة القادة في العمل ، فإن بعض القادة يتسم بالوقار والهيبة والعنف أحياناً والترفع عن السعى والعمل ؛ وكسب ثقة هؤلاء ضرورة لتأخذ مشروعات الإصلاح طابع الجهد والوقار . ويتطلب العمل أيضاً التعرف على طائفة أخرى ، قد لا يسميهم أهل القرية قادة ، ولكنهم في واقع الأمر عناصر فعالة تستطيع أن تعمل وتنشط وتنتج ؛ ولأذكر على سبيل المثال ما حدث في إحدى القرى عند انتخابات مجلس إدارة جمعية الإصلاح الريفي ، فلم يستطع أحد القرويين أن يكون من بين المنتخبين في هذا المجلس ، ولم يحرز إلا أصواتاً قليلة ؛ ومع ذلك فقد وجدته من أكثر الناس ذكاء ونشاطاً وتحملاً للمسئولية وسعياً للعمل ؛ وقد استطاع فعلاً أن ينهض بكثير من الأعمال التي وكلت إليه خير نهوض ، بل أن يأخذ دور المبادأة في التفكير في بعض المشروعات وطرق تنفيذها .

ويمكن تصور القيادة على نوعين أحدهما يعتمد على النفوذ وقوة الشخصية ومدى التأثير في الرأي العام ؛ ولعل أهم مقومات هذا النوع في الريف المصري الملكية الزراعية ، والسلطة العائلية ، ومدى التعليم ، والقدرة على الاتصال « بالحكام » والموظفين ، والانبساط في الشخصية ، والمشاركة المستمرة في أحداث القرية ومجالاتها ، والاستعداد لتقديم الضيافة وحب الظهور . أما النوع الثاني من القيادة ، فهو الذي يعتمد على المعرفة والمقدرة الفنية في نواح خاصة من نواحي الحياة بالقرية ؛ فيشتهر بعض الناس بخبرتهم وتجاربهم الواسعة في زراعة معينة أو في تربية الماشية أو في القدرة على مصالحة المتخاصمين وإصلاح ذات البين أو في ميدان الشئون الدينية والفتوى . وهذا النوع من القادة يفيد القرية بحكم تجاربه فلا بد من الاتصال به والاستفادة منه ومن ميدان شهرته .

وقد اتضح للكاتب قيمة الاجتماعات العامة في مرحلة التعرف على الناس ، ومن الوسائل السريعة في هذا الصدد الحفلات السينمائية في القرية ، حيث يشتد الإقبال عليها ، وبذا تتهيأ الفرصة لتعريف أكبر قدر من الناس على المهمة التي يأتي المصلح من أجلها ؛ وإذا لم يتييسر مثل هذا العرض السينمائي ، فيمكن الاتصال بالناس في المساجد أو بدعوة جماعات منهم للتعارف والحديث .

وإلى جانب التزاور والاجتماع ، فإن هناك مجالا آخر من مجالات الاتصال الهامة ، وهى مجالس الجماعات الحرة التلقائية ، مثل اجتماع الناس فى المقهى وأمام الدكان ، وفى الرحبات الواسعة ، وفى الدّوار أو المضيقة العامة ، وفى الأسواق ، وتحت ظلال الأشجار ، وعلى المصاطب خارج البيوت ، وفى تجمع النساء على التربة أو حول طلمبة المياه أو البئر لجلب المياه وغسل الملابس. ولعل الكثير من المشتغلين بالخدمة الاجتماعية فى الريف يغفلون قيمة هذه الجماعات الحرة فى عملهم ونشاطهم ؛ ولا شك أن هذه الجماعات من مكونات الرأى العام فى القرية ، ومن الممكن استغلالها فى نشر مختلف الدعوات أو القيام ببعض الإرشادات . وقد تكون هذه الجماعات فى بعض الأحيان ، إذا لم يتصل بها المصلحون الاجتماعيون ، من أسباب ترويج الإشاعات أو التقليل من قيمة الجهود ، وتثبيط الهمة فى أعمال اللجان أو الجمعيات المنظمة ، أو قد يستغلها المغرضون وأرباب المصالح المكتسبة لأغراضهم الخاصة (*) .

والخلاصة أن الغرض من مرحلة التعرف فى العمل الميدانى هو كسب ثقة الناس ، وتهيئة الجو الصالح لإثارة اهتمامهم ومشاركتهم فى عمليات الإصلاح المختلفة . وهناك جملة من المشكلات التى تعترض طريق العامل خلال هذه المرحلة ؛ أولها كثرة المطالب التى ينهال بها القرويون على الوافد لخدمتهم ، وربما كان عدد كبير منها خارج نطاق الإخصائى الاجتماعى أو الطبيب أو المرشد الزراعى ، مثل رصف الطريق الزراعى ، أو إقامة عملية لمياه الشرب ، أو شق الترع والمصارف ، أو توسيع الجبانة . . وربما كانت هذه المطالب غاية فى الأهمية بالنسبة لحياتهم الاقتصادية والاجتماعية . وكلما سمع المرء هذه المطالب فى القرية المصرية تأكد له أن هناك جانباً من الإصلاح لا بد أن تقوم به الدولة وترسم له سياسة خاصة فى خدماتها العامة . ولا ينبغى للمشتغل بخدمة الريف فى مستوى القرية ذاتها أن ينفذ يديه كلية من مثل هذه المطالب ، أو يقلل من قيمتها ، لأنها ليست من اختصاصه بل عليه أن يناقشها معهم وأن يعينهم

(*) لعل أقوى دافع لاتجاه هذه الجماعات الحرة نحو الشائعات والتشيط كونها جماعات تنفيسية تقوم بوظيفة الإزاحة عما فى الصدر من أزمات مكبوتة ؛ والجماعات الحرة التلقائية ترجمة مرادفها فى الإنجليزية informal gatherings

في الاتصال بالجهات الرسمية المختصة . وقد تكون بعض حاجاتهم ومطالبهم من النوع المصطنع لمجرد الرغبة في تقليد قرية مجاورة ، أو لمجرد مصالح مكتسبة ، كالرغبة مثلاً في إنشاء سوق بالقرية ، في حين أن أحوالها التجارية لا تستدعيه وأن السوق العام لا يبعد عن القرية كثيراً، أو الرغبة في إنشاء مصنع لتجفيف العنب ، متناسين تكاليف المصنع وكمية إنتاجه في النطاق المحلي ، أو الرغبة في إقامة مسجد جديد بالقرية مع أن بها جامعين أو ثلاثة وأن عدد سكانها لا يزيد على ثلاثة آلاف ؛ فعلى العامل الاجتماعي أن يأخذ هذا كله بعين الاعتبار في أول الأمر ، وأن يوضح لهم فيما بعد بالمناقشة والإقناع مدى أهمية كل من هذه المطالب ومدى ما يمكن تنفيذه منها في حدود طاقة عمله واختصاصه .

وإذا كان التعرف يتطلب الاتصال والزيارة ومبادلة الحديث ، فإن هذا شرط لازم وليس بكاف في كثير من الأحيان . وربما كان القيام بعمل إنشائي سريع من أنجع الوسائل لكسب الثقة وتأسيس علاقة طيبة مع الأهليين ؛ وهذه هي المشكلة الثانية . ولذا كانت الإعانة المالية سواء من مصدر حكومي أو غير حكومي ضرورية لدفع عجلة الإصلاح في مراحلها الأولى على الأقل . وقد تبين بالتجربة أن دق طلسم مياه بالقرية ، أو إصلاح خزان المياه بالجامع ، أو مقاومة الآفات الحشرية في الزراعة ، كان من أقوى العوامل التي وثقت الصلة بين أهل القرية وبين المشرفين على مختلف جوانب الخدمة الاجتماعية فيها . وأذكر أن زجاجات قطرة العيون كانت من أهم الوسائل التي اكتسبت بها آנסات المركز الدولي للتربية الأساسية ثقة نساء القرية . وقد أكد قيمة هذه الطريقة كثير من المشتغلين بالخدمة الاجتماعية وبدراسات علم الاجتماع (*) .

والمشكلة الثالثة الخاصة بمرحلة التعرف هي فقدان كثير من أهالي القرى في مصر الثقة في قيمة العمل الجماعي . وسوف يعترض هذا الإحساس المشتغل في الريف ، وسوف يحدّثه الناس عن أنانية أهل هذا البلد ، ثم كيف أنهم لا يعبأون بأمور غيرهم كثيراً ، وكيف فشلت الجمعية التعاونية أو ركذ نشاطها . وربما كان قدر من هذا الإحساس ناتجاً عن تفكك الروابط الاجتماعية القديمة ،

(*) Lewis, Oscar. *Life in a Mexican Village; Tepoztlan Restudied*. University of Illinois Press, 1951 (Introduction).

ولذا وجب على العامل الاجتماعى أن يقوى الروح المعنوية ويؤكد قيمة تعاون الجهود بمختلف الوسائل والأسانيد .

ومن الأمور التى لا بد من الإشارة إليها فى مرحلة التعرف درجة التعرف ومداه . فمن الواجب أن يكون الشخص طبيعياً فى سلوكه وفى اتصالاته بقدر الإمكان ، وذلك مع تكييف نفسه طبعاً تكييفاً يقلل من أوجه الغرابة . فليس ثمة داع لأن يلبس المشتغل بالريف زى الريفين ، أو زى الريفيات فى حالة المرأة ، ولكن لا داعى للمبالغة فى زى أهل المدن أو فى درجة التزين . ثم إن الاختلاط والاتصال وكسب الثقة ليس معناها المزاح وإلغاء الكلفة أو « التهريج » ، والشأن فى هذا شأن من فهموا التربية الحديثة للطفل على أن يفعل ما يشاء ، وأنه حر فى اختيار ما يشاء دون تنظيم أو ضبط . وكذلك للتعرف والاندماج أصوله ومقتضياته فليس معناه التقمص التام لحياة الفلاحين وطبائعهم ، فى هذا تصنع وإلغاء لشخصية المصلح الاجتماعى ، خصوصاً وأنه لا بد من أن يعمل مع التقاليد المألوفة تارة ، ويعمل حولها تارة ، ويعمل ضدها أحياناً أخرى . وإذا تذكرنا ما سلفت الإشارة إليه فى الفصل الأول عن بعض مظاهر الديناميكية الاجتماعية فى القرية ، برز لنا أن العامل الاجتماعى لا بد أن يقوم فى كثير من الأحيان بدور الأب الاجتماعى فى هذه المرحلة من تطور هذه البيئات الريفية . ولذا كان لا بد لقوة تأثيره من صفات الحزم والوقار . وقد نتج عن عدم الفهم الصحيح لمسألة الاندماج أن وجد بعض الإخصائيين أنفسهم فى مواقف لا يحسدون عليها ، وإن كانوا قد ألفوا الناس إلا أنهم لم يكسبوا احترامهم وثقتهم بالمعنى الصحيح .

ولا تقتصر مرحلة التعرف على معرفة الناس فحسب ، بل ينبغى أن تشمل أيضاً ظروف القرية المادية والاجتماعية أيضاً . ومن الكياسة ألا يندفع العامل الاجتماعى إلى إصدار أحكام للقيم على تلك الأوضاع ونقدها نقداً مباشراً فى هذه المرحلة . فقد أدى هذا فى الصين مثلاً إلى طرد الإخصائية الصحية من القرية حين اعترضت على طريقة تغذية الأمهات فى أوائل مرحلة الولادة ؛ فإن من تقاليدهم أن تتغذى الأم الوالد على الفراخ المحمرة ، وأن تتجنب أكل الخضروات

وشرب الماء البارد . وقد انتقدت الزائرة الصحية هذا النوع من التغذية دون أن تعرف دوافعه أو اتصاله بمواضع الأسرة الاجتماعية التي تبدو فيها الأم والوالدة في موضع الاهتمام فيقدم لها هذا الغذاء النادر في هذه المناسبة العزيزة^(١) .

مرحلة البحث والدراسة :

نقطة البداية في هذه الناحية هي تقسيم أنماط البحث الاجتماعي إلى نوعين : النوع الأول منه يلتزم مناهج البحث العلمي بكل شروطها وظروفها كالبحث في مشكلة الدخل أو مشكلة البطالة ، أو في ميول الريفيين واتجاهاتهم في أمور معينة ، أو بحوث في الدوافع النفسية والحاجات الاجتماعية . ولا شك أن مثل هذه البحوث العامة ينبغي أن تقوم بها الجامعات أو الهيئات العلمية المتخصصة ، وأن تتخذ منها الدولة أساساً ومرشداً لبرامجها ومشاريعها . ومثل هذه البحوث لا بد أن يتم على نطاق واسع يتقضى مختلف البيئات والعينات مستخدماً مختلف الوسائل العلمية في جميع البيانات وتحليل الإحصائيات والاستنتاج منها^(٢) .

أما النوع الثاني من البحوث الاجتماعية فإنه يقوم على مستوى آخر تدفعه الرغبة العملية إلى معرفة الخطوط الرئيسية التي تعين على تصميم المشروعات والتحقق من جدواها ونجاحها ؛ وهذا هو مستوى البحث الذي يلزم للعاملين في ميدان القرية . ولعل الفرق بين المستويين من البحث كالفرق بين الإجابة على سؤال : أين القلم ؟ فإذا ما أجبت عن هذا بتحديد مكانه بالضبط على المكتب ، كان ذلك بحثاً من النوع الأول ؛ وإذا ما ذكرت بأنه على المكتب فحسب ، كان ذلك من النوع الثاني . والمهم أن يكون لدى المشتغل في العمل

Yang, Hsin-Pao. "Promoting Co-operative Agricultural Extension Service (١) in China," in : Brunner, E. ed 8., *Farmers of the World*. New York, Columbia University Press, 1945, p. 47.

(٢) من أمثلة هذه البحوث العلمية ذات الدلالات العامة وإن لم تكن خاصة بالريف : الدكتور أحمد حسين والدكتور عبد الرحمن البدرى « تقرير إحصائى عن عمال التجارة ومدى استفادتهم من مشروع الحد الأدنى للأجور »

الدكتور محمود أمين أنيس ، « الدخل القومى في مصر » ، في مجلة مصر المعاصرة ، يناير

١٩٥٣ ، العدد ٢٧١ .

Ammar, Abbas. *The People of Sharqiya Province*. Cairo, Société Royale de Géographie d'Egypte, 1944. 2 vols.

الميداني أدوات تمكنه من تحديد بعض المشكلات ، والوصول إلى المعلومات والبيانات الأساسية التي تمكنه من ضمان السير في عمله .

وأود أن أشير هنا إلى قضية تؤخذ في كثير من الأحيان على علاقتها ذلك أن كل عمل أو مشروع يحتاج إلى إجراء بحث قبل تنفيذه ، وأنا لا أريد أن أقلل هنا من قيمة البحث بل أعتقد أيضاً أن القيام بعمل أو مشروع ما قد يكون مدعاة إلى ظهور المشكلة وتحديد موضوع البحث . وقد لا يحتاج بعض الأعمال في القرية إلى البحث المستقصى بالمعنى العلمي الدقيق ، ويكتفى للشروع فيها بشيء من الفطنة والإحساس العام بظروف العمل وإمكانياته ، فلا يحتاج فتح فصل لمكافحة الأمية بالقرية إلى عمل حصر شامل للأمين ، إذ أنه من المفروغ منه أن هناك أعداداً كثيرة منهم وأن المهم هو تنظيم الدراسة وأوقاتها والمادة المناسبة لذلك . وهذه الناحية الأخيرة وهي المادة التعليمية هي التي تحتاج إلى بحث لتعرف ميول القراءة لدى القرويين . ثم أنه لا حاجة للشروع في عمل مصنع للجرير في القرية إلى بحث إحصائي عن عدد النخيل بالضبط الموجود في القرية ، أو عدد المستهلكين لمنتجات الجريد من أقفاص وأسرة . أقول ليس المهم إجراء بحث للتدقيق في مثل هذه البيانات ، وإنما قد يكفي في بعض الحالات أن يعلم الإنسان عن طريق الأهالي أن هناك مساحة واسعة تزرع عنباً في تلك المنطقة تقدر بكذا من الأفدنة ، وأن هناك كمية وفيرة من النخيل موجودة بالقرية ، وأن الناس يحتاجون إلى أقفاص لوضع العنب وشحنه إلى القاهرة ، أو إلى بعض صناعات أخرى من الجريد .

أرجو ألا يفهم من هذا التقليل من قيمة البحث ، بل على العكس فإن كثيراً من مشاريعنا الإصلاحية كانت تتعثر نتيجة افتقارها إلى دراسة كافية وبحث دقيق لظروف نجاحها ، وإنما أحببت أن أبين أن هناك نوعاً مبسطاً من البحث يكفي فيه جمع البيانات الرئيسية اللازمة وأن هذا القدر فيه كفاية للمشغل بفروع الخدمة الاجتماعية في مجال القرية .

كذلك ينبغي أن تكون للبحوث التي يقوم بها المشتغلون بخدمة الريف أهداف محددة ، فمعرفة وقت الفراغ أو الأوقات التي تقل فيها الأعمال الزراعية في الحقل من البحوث الهامة التي يستطيع أن يستغلها المشتغل بالترفيه أو بتعليم

الكبار أو بالتعليم والإرشاد الصحى . إذ عن طريق هذه المعرفة يستطيع أن يحدد هؤلاء العاملون فترات نشاطهم ، ويكون من السهولة عليهم جلب أكبر عدد ممكن . وإجراء مثل هذا البحث فى المستوى الثانى له فائدة محققة ويكفى أن يعلم المرء على وجه التقريب الأوقات المناسبة لنشاطه فى القرية . وربما كان تخطيط ذلك فى رسم بيانى من الأمور المساعدة على التوضيح (*) .

ومن البحوث المفيدة أيضاً تسجيل مختلف العادات والطقوس التقليدية التى تشكل حياة الريفيين وتعالج كثيراً من نواحي نشاطهم ؛ وهذه الطقوس والعادات توضح الأمور الأولى التى يلجأ الريفيون إلى استخدامها فى حالة المرض ، أو فى تربية الطفل ، أو فى التغذية ، أو فى شئونهم الزراعية ؛ فبحث هذه التقاليد المحددة هو الأساس الذى ينبغى أن يتصدى له عمل الإخصائيين ؛ فليس ثمة مدلول للصحة أو تحسين الحالة الاقتصادية إلا إذا اتجهت إلى معالجة تلك التقاليد المحددة التى تكون حصيلتها ما يعرف باسم الصحة أو رفع مستوى الدخل . فلو بحثت هذه التقاليد ودرست لكان معنى الصحة أن تعمل الزائرة الصحية ، وأن تتخذ ما ترى من الوسائل لحث النساء الوالدات فى الفترة الأولى من ولادتهن على شرب الماء شرباً عادياً . فمقاومة هذا التقليد هو فى الحقيقة فى صميم الشئون الصحية ، ولا بد من مواجهته إذا ما أردنا أن تكون حملاتنا الصحية دلالة محسوسة وتأثير قوى . وكذلك الحال فى عادة عصر ثندوتى صدر الطفل حتى يخرج كل منهما اللبن كما يعتقدون . وفى بعض القرى لا يسخن اللبن الذى يصنع اللبن منه . وظاهرة اقتصار طعام الطفل الذى تصيبه الحصبة على العسل الأسود فقط لمدة تزيد على الأسبوع ، وارتباط تغذية الطفل لدى الأم بعوامل الحنان والرعاية من العوامل المؤثرة فى صحة الطفل ؛ فهى تعتقد أنها مقصرة فى حقوق الأمومة إذا لم تغذ طفلها كلما بكى أو تطعمه مما تحت يديها من لحم أو مخللات أو بلح أو شأى . ولا شك أن هناك ارتباطاً قوياً بين هذه الناحية العاطفية وبين ما يأكله الطفل ، ولا بد من توجيه جزء كبير من عملية الإقناع إلى أن تنظيم تغذية الطفل وعدم إعطائه كل ما يشتهى ، لا ينقص من عاطفة الأم نحو ابنها

(*) من الكتب المفيدة فى التمثيل التصويرى والتخطيط للحقائق والأرقام :

Lutz, R.R. *Graphic Presentation Simplified*. New York, Funk & Wagnalls Co., 1949.

بل إن له نتائج تعود على الطفل بالفائدة في نهاية الأمر . لا بد من معرفة أمثال هذه التقاليد عن طريق البحث والسؤال ، وإلا كانت الدعوة لإصلاح الحال أمراً أجوف ، لا يمس الواقع من حياة هؤلاء الناس .

هذه بعض أمثلة لأنواع البحوث التي يمكن أن يقوم بها المشتغل بخدمة الريف في مستوى القرية ، والتي تمكنه من رسم برامج وتصميمها تصميمًا متقناً يضمن لها التأثير والنجاح .

ولنتساءل عن وسائل البحث ومعداته غير عامدين إلى تفصيل هذه الوسائل المتداولة في كتب البحوث العلمية^(١) . وإنما سنورد بعض الخطوات الخاصة بهذه الوسائل وقيمتها في البحوث الاجتماعية . يرى البعض أن الباحث الاجتماعي لا بد أن يبدأ بعملية « مسح واستقصاء » Survey . ولذا فالمفروض في مصر مثلاً أن يقوم الإحصائي الاجتماعي قبل أن يبدأ في مشروعاته بالقرية بعمل مسح اجتماعي لظروف القرية المختلفة وأحوالها وموارد الدخل وبنود الاستهلاك ، وحالة المسكن وظروف العائلة الاجتماعية ، والحالة الصحية ونشاط العائلة وبطالتها ، والمهن المختلفة بالقرية ، إلى غير ذلك من المعلومات الشاملة^(٢) ، وربما كانت عملية التقصي العام عملية هامة في الوصول إلى صور كمية عن مختلف نواحي حياة القرية أو المدينة أو المنطقة . ولكنه مع ذلك لا بد من أن يعلم الباحث على وجه التحقيق هدفه من إجراء المسح ، وإلا كانت المسألة تكديساً للبيانات والمعلومات .

ولعملية المسح والاستقصاء وظيفتان أساسيتان : أولاهما إثارة الرأي العام وتوجيهه لمعرفة الحالة الاجتماعية في منطقة معينة ، والبحث على معالجة تلك الحال ،

(١) Young, Pauline. *Scientific Social Surveys and Research*. New York, Prentice Hall, 1939.

(٢) انظر مثلاً استمارة وزارة الشئون الاجتماعية ، إدارة الفلاح ، البحث الاجتماعي الاقتصادي الشامل للعائلة (استمارة رقم ١٢ . فلاح) . وما هو جدير بالذكر أن هذه الاستمارة لم تستعمل للأغراض التي صممت من أجلها في كثير من المراكز الاجتماعية نظراً لكثرة ما فيها من البيانات وعدم وضوح عناصرها .

إذ أن الإحصائيات والأرقام ذات دلالة مثيرة وقوية في تصوير الأوضاع^(١). أما الوظيفة الثانية للمسح فهي توضيح الحقائق الرئيسية اللازمة لرسم البرامج أو اتجاهات الإصلاح والظروف التي تؤدي إلى نجاح أو تعطيل مشروع من المشروعات. والنوع الخاص من الاستقصاء Specialized Survey هو الذي يخدم هذا الغرض ويهدف إلى بحث ناحية واحدة تكون محور التركيز والاهتمام كالبحث في مشكلة السكن أو الغذاء أو في الدخل، في حين أن البحث العام للقرية أو للمنطقة يشمل هذه النواحي جميعها. والنوع الثاني من الاستقصاء هو الذي يمكن أن يكون أكثر جدوى في تصميم المشروعات وتنفيذها.

ومهما يكن مدى شمول عملية المسح، فالمهم فيها قبل كل شيء أن يحدد الباحث نوع السؤال الذي يحاول أن يجيب عنه، ومدى ما يتوقعه من الضوء الذي سيلقيه هذا المسح على المشكلة التي تواجهه، وطريقة الاستفادة من نتائجه. فليس المهم عمل مسح للقرية، وإنما المهم أن نسأل أولاً وقبل كل شيء: ماذا نريد أن نتقصى؟ ولماذا نريد أن نتقصاه^(٢).

وإذا كان منهج عملية المسح يعتمد على التقديرات الكمية quantitative Survey وتعداد مختلف العناصر الموجودة في البيئة وظواهرها وألوان حياتها، فإن هناك أسلوباً من البحث لا يقل عنه أهمية وفي طبيعته التركيز على الناحية الكيفية qualitative Survey، وهذا هو أسلوب الدراسات الأنثروبولوجية على الأخص. فإذا كان المسح يدل على عدد المواشي أو كمية الحلي أو المصوغات

(١) المستعرض لبداية حركة المسح في أوروبا يلحظ أن الدافع الأساسي لها في البداية كان إظهار الأوضاع الاجتماعية السيئة وإثارة الوعي للإصلاح الاجتماعي مثال ذلك أبحاث Le Play عن دخل أسر العمال في فرنسا، وأبحاث Booth Rowntree في إنجلترا عن مستوى الفاقة والفقير.

انظر Wells, A.E. "Social Surveys", in: Bartlett and others, *The Study of Society*. London, Routledge & Kegan Paul, 1949 4th ed., pp. 425-428.

(٢) يقول Wilson Gee عن عملية المسح في هذا الصدد:

"The very term (survey) takes its exact meaning from its context. A survey of what and for what?" in: *Social Science Research Methods*. New York, Appleton Century-Crofts, 1950. p. 301.

أو مساحات الأراضي المزروعة بمختلف المحاصيل أو عدد الدواوير أو غير ذلك من مؤسسات القرية وعناصر حياتها ، إلا أن هناك حقائق لا تقل قيمة عن مجرد هذا التعداد . فلا بد من البحث في القيم المتصلة بهذه العناصر والوظائف التي تؤديها المؤسسات الاجتماعية ، وكيف ترتبط بعضها ببعض ، وكيف يشعر نحوها الأهالي ، وكيف يتشكل التنظيم الاجتماعي ، وكيف تتكون الجماعات ، إلى غير ذلك من الأسس التي تقوم عليها الدراسات الأنثروبولوجية (*) .

ومن الأمور العملية المفيدة في هذه البحوث الكيفية الاحتفاظ بمذكرات أو يوميات يسجل فيها الباحث ملاحظاته ومجريات الحوادث وظروف العمل أثناء إقامته في الريف ؛ ولا شك أن مثل هذه المذكرات هي المادة الخام التي نستطيع أن نعتمد عليها في فهم ظروف الحياة الريفية فهماً ديناميكياً ، يتميز بغنى الواقع وتفاصيل الحياة اليومية . ولست أعلم فيما عدا « يوميات نائب في الأرياف » للأستاذ توفيق الحكيم أن اهتم أحد من العاملين في الريف بتسجيل طرف من الحياة في تلك البيئات تسجيلاً له طابع محلي واقعي .

ولا أريد أن أتعرض هنا لطرق البحث المختلفة وإمكاناتها وحدودها ، فهناك طرائق متعددة منها الملاحظة ، وصحائف الاستبيان ، والاستمارات ، وطريقة قياس الجماعات ، والاختبارات ، وطريقة المقابلة ، إلى غير ذلك من معدات البحث وأساليبه . ولكل من هذه الطرق مجالاتها . بيد أن هناك مسألتين هامتين في استعمال هذه الوسائل ؛ أولاهما : وضع الأسئلة المناسبة التي تتصل بمشكلات البيئة واختبارها قبل إجرائها لمعرفة مدى انطباقها على البيئة . ورغم أن عملية تجريب الأسئلة أو الاستفتاءات تجريباً مبدئياً من الأمور المقررة في قواعد البحث العلمي ، إلا أنه قلما تتبع في التصميم العملي للبحوث ، ومن ثم جاءت كثير من الأسئلة أو البيانات الموضوعية غير ذات موضوع ، سيما وأن هناك اختلافاً في جملة تفاصيل الحياة اليومية وعناصرها بين القرى في القطر الواحد . وثانيهما أنه لا بد من أن تكون الأسئلة أو المقابلة ذات مدى معقول في الطول ،

(*) Yang, Martin. *A Chinese Village*. London, Kegan Paul, 1948.

ومن الكتب المفيدة في هذا الميدان وخاصة في صياغة الأسئلة الخاصة بالدراسات الأنثروبولوجية *Notes and Queries on Anthropology*. 6th ed. London, Routledge & Kegan Paul, 1952

حتى لا يمل المسئول وحتى تؤتي أطيّب النتائج ؛ وهذه رغم أنها بديهية إلا أنه قد يطغى عليها حماس صاحب البحث ورغبته في التحقق من كل شيء ممكن .
ثم إن هذه البحوث الشاملة أو الخاصة أو الصغيرة أو أيا كان نوعها ومدادها لا تتضح قيمتها إلا إذا ارتبطت بالبرامج وتنفيذها ؛ فقد يكون هدف البحث معرفة خط البداية الذي يبدأ منه المشتغل في ميدان الإصلاح ويستطيع أن يقيس على هديه مراحل التقدم أو التطور . وبذا يمكن أن يقيم عمله ويرى مدى نمو الجوانب المختلفة فيه . ثم إن البيانات الرقمية عن عدد الدواجن أو المواشي أو الأطفال أو الشبان أو الأميين وغير ذلك ، يمكن استخدامها في معرفة المدى الذي تشمله حملة من الحملات التي يقوم بها العامل ، كالتطعيم أو حقن الدواجن أو حملات مكافحة الأمية ، أو المساهمة في نادي القرية ، أو في غيره من ألوان النشاط بالقرية .

ولا شك أن المصادر الرسمية مثل التعداد العام للسكان بكراساته المختلفة ، وإحصاءات الجيب التي تصدرها مصلحة الإحصاء والتعداد بوزارة المالية ، وغيرها من الإحصاءات الحيوية أو الصحية ، من المراجع الهامة التي لا غنى عنها في عمليات البحث وجمع الحقائق . غير أن بعض البيانات الواردة فيها غير واضحة ، وربما لا تنطبق على الواقع في بعض الأحيان ، كأن تجد في قرية تعلمها تمام العلم نساء يشتغلن بالزراعة وهن لا يعملن في الحقل إطلاقاً . فهل المقصود بهذا هو مجرد الأعمال المتصلة بشئون الإنتاج الزراعي داخل البيت ؟ أو أن تجد أن هناك قرية عدد سكانها ٢٣٠٢ من بينها ٣٤٢ شخصاً لا عمل لهم . فما معنى لا عمل لهم ؟ إذ أنه بسؤال أهالي تلك القرية بالذات لم نستطع أن نحصر عشر هذا العدد ممن يمكن القول أنه لا عمل لهم ، وإنما يعملون جميعاً في مهن موسمية .

الفصل الرابع

مراحل التخطيط والتنفيذ والتقييم

مرحلة التخطيط والتصميم :

لعله من المفيد أن نذكر هنا أن راسم الخطة لا ينبغي أن يضيق على نفسه أول الأمر ، بل لا بأس من أن يجعل تفكيره في صورة مسترخية متناثرة في البداية ، مدوناً كل ما يخطر من آراء ، وربما قد لا يكون بينها رابطة أول الأمر . وهذه طريقة مستحبة تمكنه من أن يفتق ذهنه ، وأن يكون تفكيره جريئاً نفاذاً . ولا شك أن الاسترخاء في التفكير وترك الأفكار تتداعى تداعياً حرّاً إنما يسهل العملية الأولى لبناء الخطة ، ويهيئ كثيراً من العناصر اللازمة . ثم يعقب هذا عملية أخرى من أعمال الفكر ووضع الإطارات التفكيرية اللازمة ، وتقليب النظر وترتيب الأفكار وتنظيمها ؛ ولا بأس أيضاً من إعادة النظر مرة ثالثة في الخطة وفي عناصرها ومضمونها حتى تستكمل صورتها ويمتلىء هيكلها .

يأتى التخطيط والتصميم كمرحلة ثالثة في مراحل العمل الميداني ، إذ يعتمد بالضرورة على التعرف على الناس وحاجاتهم ، وعلى ما يتبين من نتائج البحث ؛ ولا بد أن يكون مرتبطاً بهاتين الناحيتين ، وإلا كانت الخطة خيالية أو منفصلة عن الخطط الاجتماعية التقليدية التي يعيش بها أهل القرية في حياتهم وتنظيماتهم اليومية .

ولا بد من أن يكون وضع الخطط في مستوى القرية متسقاً ومتماشياً ومكملاً للخطط العامة التي ترسمها الدولة في سياستها العامة ، فستوى القرية إن هو إلا جزء من المستوى العام . ولا أريد أن أتعرض بالتفصيل للتخطيط الشامل في مستوى

الدولة ، وإنما يحسن أن أذكر هنا ما يستلزمه مثل هذا التخطيط الشامل للخدمات حسبما ورد في أطلس الخدمات (*) . فقد عدد اثنتى عشرة قاعدة من قواعد التخطيط ينبغي اتباعها في تنظيم الخدمات العامة في الدولة وهى : -

١ - حصر جميع أنواع الخدمات المباشرة وغير المباشرة التى يلزم توفيرها للوفاء بحاجات الشعب .

٢ - تحديد المستويات التى يجب أن تستهدف الوصول إليها بالنسبة لكل نوع من الخدمات .

٣ - حصر الخدمات الحالية ومدى توافرها وتوزيعها على مناطق القطر وعلى فئات الشعب .

٤ - تحديد الزيادة اللازمة فى كل أنواع الخدمات للوصول للمستوى المطلوب مع عدالة التوزيع .

٥ - حساب تكاليف الإنشاء وتوزيعها على السنوات طبقاً لإمكانات البلاد .

٦ - توفير المواد اللازمة لعمليات الإنشاء والتجهيز على اختلافها .

٧ - إعداد الفنيين اللازمين لإدارة مختلف المنشآت .

٨ - إعداد البرامج والنظم التى تسير عليها المنشآت الجديدة لتحقيق الأغراض المقصودة منها .

٩ - الارتفاع بمستوى الخدمات الحالية حتى تصل إلى أقصى الكفاءة بأقل النفقات .

١٠ - حساب تكاليف التجهيز والإدارة لجميع المنشآت للحصول على صورة كاملة للأعباء التى ستتحملها الدولة .

١١ - التنسيق بين التخطيط الاجتماعى والتخطيط الاقتصادى حتى يتحقق التوازن بين الحاجات والإمكانات على طول المدى .

١٢ - انطباق البرامج على حاجات الأفراد والمجتمع وتمشيها مع التطور الاقتصادى الاجتماعى الذى تستهدفه الدولة .

(*) المجلس الدائم للخدمات العامة ؛ أطلس الخدمات ؛ القاهرة ؛ ١٩٥٤ .

وليس هنا مجال مناقشة هذه القواعد وتفصيلها ، فهي لا شك قواعد سليمة وواضحة ، وإنما أحب أن أشير إلى نقطة متصلة بها ولها تأثير في عملية التصميم الميداني في مستوى القرية ، تلك هي نقطة إيصال ما يخططه المسؤولون في مستوى الدولة إلى علم المناطق أو الأقاليم أو القرى التي سيتم فيها العمل أو المشروع ؛ فإذا ما نشرت الحكومة سنوياً خططها وبرامجها على المناطق المختلفة ، وأفهمت أهلها ما تزعم أن تقوم به خلال هذا العام ، كان ذلك مدعاة للتنسيق بين مستوى العمل الإصلاحي في الدولة وفي القرية أو المنطقة . وليست هذه مجرد نقطة نظرية فحسب ، بل إنها تصادف المشتغل بخدمة الريف في كثير من الأحيان فيسأل نفسه كما يسأل الأهالي أنفسهم ويسألونه أيضاً : هل ستقوم الحكومة بردم هذه البركة هذا العام أو في العام القادم أم أن هذه المهمة من المهام التي يقوم بها القرويون أنفسهم ؟ هل يدق القرويون طلمبات مياه في بيوتهم أم أن الدولة ستشغى عملية مياه في القرية ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي تبلبل خواطر القرويين أو من يعمل معهم من الإخصائيين والمرشدين . والمهم أنه لا بد من إيصال نتائج التخطيط العام إلى حيث يتم التنفيذ والتطبيق في البلاد . كما أنه من المفيد أيضاً أن يؤخذ رأي الأهالي في كثير من الأحوال في طريقة التنفيذ ووسائلها وتفصيلها .

كذلك ينبغي أن يكون التخطيط العام مستمداً ومقدراً لوقائع الحياة وتفصيلها وليس معتمداً على النظريات المجردة التي لا تقدر الظروف العملية أو الأحوال المحلية التي تؤثر في سياسة أو مشروع معين . ولعل أوضح مثل على ذلك ما ساد في نظريات الاقتصاد الكلاسيكية من أن أزمات البطالة المتعاقبة إنما هي مجرد احتكاكات في داخل النظام الاقتصادي ، وتدخل الحكومات إنما يمكن تبريره بصورة مؤقتة لمواجهة هذا « الاحتكاك » . ولكن الدراسات التفصيلية القائمة على وقائع نظام التجارة الحرة والاقتصاد الحر قد بينت أن البطالة ليست مجرد ضغط مؤقت وإنما هي جزء من صميم تركيب الاقتصاد الحر . وقد بينت بحوث Keynes في إنجلترا و Hansen في الولايات المتحدة بأنه إذا تركت الحرية الاقتصادية لرجال الأعمال فإن هذا قد يؤدي إلى تقليل استخدامهم

للأيدي العاملة ، بدل إنشائهم مشروعات وأعمال جديدة لاستيعابها . ودلالة مثل هذه الحقائق واضحة في ميدان رسم السياسة وتوجيهاتها ، إذ يستلزم الأمر إذن تدخل الحكومات والترشيد والتوجيه في الشؤون الاقتصادية (*) .

ونكتفي بهذا القدر في مستوى التخطيط العام . أما فيما يتعلق بتخطيط العمل الميداني في القرية ذاتها فإن أهم شروطه الشمول والتكامل وترتيب الأولويات والمرونة وتوضيح الإمكانيات ومساهمة الأهالي وعدالة الخطة .

ولعل أولى ضرورات الخطة الصحيحة أن يتوفر فيها عنصر الشمول ، بمعنى أنه من الأفضل أن ترسم الخطة في أوسع مدار ممكن ، ولأن يرتكب الراسم لها خطأ الشمول والاستيعاب خير من خطأ الاقتضاب والاختصار إن صح هذا التعبير ، ويقتضى هذا أن يكتب واضع الخطة كل ما يمكن كتابته ، وأن يدون كل ما يعن له من تصورات وأفكار . كذلك ينبغي أن تكون الخطة الرئيسية شاملة من الناحية الزمنية ، بحيث يكون مداها أبعد من الحاضر ، وبحيث لا يربط الراسم أهدافه بالحاضر فحسب ، بل يتوقع عملية النمو والمتابعة في المستقبل . فلنأخذ مشروع المراحض القروية مثلاً ، فلا يجب أن تقتصر خطة العمل فيه على ما يمكن أن ينفذ منه في سنة بعينها ، بل لابد أن تشمل الخطة الصحيحة مبدأ تعميم هذه المراحض في جميع بيوت القرية كسياسة بعيدة المدى لمدة أربع سنوات مثلاً ، ينفذ منها قدر معلوم كل سنة ، وفي ضوء هذا الشمول يستطيع المرء أن يرتب أنسب الطرق وأصلحها لعملية التنفيذ ، وأن يقوم بمهمة التقسيط والتوزيع اللازمة على مدار كل سنة من السنوات .

وتنسيق الخدمات بين المؤسسات المتنوعة أو الجهات الحكومية المختلفة جزء هام من عملية التكامل سواء في مستوى الدولة أو في المؤسسات التي تخدم القرية . ولهذا التنسيق جانبان ، جانب تنظيمي ، وجانب سيكولوجي ؛ فالجانب التنظيمي يعتمد على التشريع وما يتصل به من التنظيمات الإدارية والروتين

(*) Lerner, Daniel & Lasswell, *The Policy Sciences*. Stanford, University Press, pp. 8-9.

الحكومي ، بحيث يكون الهدف دائماً خدمة الأفراد لا خدمة التنظيم في حد ذاته .
 وخطة الوحدات المجمعة في مصر من أحسن الأمثلة على التنسيق والتكامل من
 الناحية التنظيمية . ومع هذا فإن التنسيق جانباً سيكولوجياً يعتمد على روح التعاون
 والعمل كفريق . ولعل هذه من أكبر المشكلات التي تصادف كثيراً من مؤسساتنا
 الاجتماعية سواء في الريف أو في المدن . وتنمية هذه الروح والقضاء على نزوات
 « الأنا » واستبدالها بنزعات « نحن » اتجاه هام من الاتجاهات التي لا بد أن
 يوليها البيت والمدرسة أكبر قسط من العناية ، وهي لا شك من أكبر مشكلاتنا
 التعليمية العامة وأعقدها ويمكن التركيز في أهمية هذه الناحية وإبرازها إلى حيز
 الإدراك الواعي في برامج التدريب للمشتغلين بخدمة الريف .

وليس من الضروري أن يكون الشمول والتعميم سياسة البدء دائماً بل ربما
 كان من الأفضل في بعض الحالات أن تكون البداية تجريبية يتحسس فيها
 المصالح صعوبات العمل على الطبيعة ، وما تحتاجه من تكييف ؛ ولا يقصد
 بالبداية التجريبية أن تكون مجرد نموذج للدعاية أو لأغراض مظهرية ، بحيث
 لا تسمح بالإمكانات بتعميمه ، وإنما يجب أن يكون تجربة يقصد منها الاختبار
 المبدئي حتى يكون التعميم والشمول معقولاً ومقبولاً .

والتكامل عنصر ثان من عناصر الخطة الرئيسية ؛ ومعنى هذا أن تأخذ
 الخطة بعين الاعتبار جميع الظروف والعوامل والقوى التي قد تؤثر وتتدخل في
 المشروع . وهذه ناحية لا بد من تقديرها كما سلف في الفصل الأول ، حيث أن
 ظواهر الريف متشابكة ووظائف المؤسسات فيه متعددة ؛ فلا يجوز أن يضع راسم
 الخطة برنامجاً لإصلاح البيت الريفي مثلاً من الناحية الصحية ، مغفلاً الوظائف
 الاقتصادية التي يؤديها تنظيمه بالصورة الراهنة ، أو يضع مشروعاً لاستغلال
 جميع أنواع المواد المتخلفة من النبات والحيوان للسماح ، دون أن يقدر مدى ما يستهلك
 من هذه المواد في الوقود والتدفئة . والتكامل يتطلب أيضاً مواجهة المشكلات
 ومعالجتها من جميع النواحي الاقتصادية والصحية والتعليمية والاجتماعية . فقد
 صاحب تعميم نظام الري الدائم مثلاً - وهو دون شك وسيلة من وسائل تنمية
 الدخل القومي عن طريق زيادة الإنتاج الزراعي - انتشار الأمراض الطفيلية

وهذا بدوره قد أدى إلى نقص الدخل القومي من ناحية أخرى بما يقدر بحوالى ٣٣ فى المائة^(١). ويتضح من نتائج هذه الخبرة ضرورة التصميم المتكامل ، حتى لا تحل مشكلة على حساب مشكلة أخرى ، أو حتى يمكن مواجهة النتائج التى تترتب عن العمل الجديد . وكذلك أدى توصيل مياه الشرب عن طريق عمليات المياه فى الفيوم إلى حل لمشكلة مياه الشرب ، ولكنها خلقت فى كثير من الحالات مشكلة البرك والمستنقعات ، نتيجة لعدم التفكير فى تصريف المياه الزائدة التى تتخلف حول عملية المياه بعد أن تملأ القرويات جرارهن من الحنفيات .

وقد برزت فكرة التكامل وأهميته فى ميدان تخطيط المدن والقرى وهى نفس الفكرة التى يراد توافرها فى تصميم أى خطة لفعاليات العمل الميدانى^(٢) . فلم يعد تخطيط المدن والقرى الحديثة مجرد أبنية تقوم كيفما اتفق ، بل لا بد من مقتضيات خاصة فى تنظيم هذه الأبنية والاتصال بينها وبين المؤسسات العامة وبين الأسواق والملاعب وأماكن الترويح والمدرسة والطريق العام والظروف التى تتحكم فى توسع القرية فى المستقبل ، والصلة بين المصانع أو المزارع والمساكن وبين المساكن والمقاهى والحدائق ، إلى غير ذلك من الشروط اللازمة لتنظيم الحياة الاجتماعية فى القرية أو المدينة ؛ ومثل هذا المنهج التكامل هو المطلوب فى وضع الخطة نفسها ، حتى لا تتعارض جوانبها وحتى يكون تنفيذها أكثر واقعية وإنتاجاً .

والتكامل يتطلب أيضاً أن تكون برامج المؤسسات المختلفة متصلة ببعضها ، يغذى كل منها الآخر . فنجد أنه فى برامج الوحدات المجمعة مثلاً يجب أن يكمل برنامج المدرسة خطة العمل فى المركز الاجتماعى والوحدة الصحية والوحدة الزراعية ؛ فتغرس المدرسة العادات الصحية فى تلاميذها ، ويتلقون بعض المعلومات الصحية من الطبيب أو الحكيم ، كما ينبغى أن يتصل برنامج الدراسة بالوحدة الزراعية والتدرب فيها ، أو أن تدخل الوحدة الزراعية فى حقل المدرسة حيث يقوم

(١) United Nations, Department of Social Affairs. *Preliminary report on the world social situation*. New York, 1952.

(٢) Gutkind, E.A. *Revolution of Environment*. London Kegan Paul, 1946.

التلاميذ بالنشاط العملي في الزراعة ، وكذلك يتصل نشاطهم بما يجري في قاعات الصناعات الريفية ؛ وهكذا يكون برنامج المدرسة وخطة العمل فيها متكاملة إذ تستغل جميع جوانب النشاط المختلفة في المؤسسات الأخرى وفي حياة القرية بصورة عامة (*) .

ومن شروط الخطة السديدة أن تتضمن أيضاً في ترتيب عناصرها درجة الأولوية أو الأسبقية في التنفيذ حسب أهمية المشاريع أو ألوان النشاط التي يراد القيام بها ؛ وللأولوية جانبان : جانب الزمن ، وجانب الاهتمام والعناية والمال . أما جانب الزمن فإنه من المستحسن أن يحدد واضع الخطة التواريخ التي يزعم أن يبدأ فيها مشروعه تحديداً ولو تقريبياً ، وأن تكون الخطة في إحدى صورها مرتبة ترتيباً زمنياً ، فإن ذلك مدعاة لأن يفكر واضع الخطة في الوقت المناسب لها . فمثلاً فتح فصول لمكافحة الأمية والثقافة الشعبية يتطلب تحديد مواعيدها تحديداً يتمشى مع النشاط الزراعي ، وكذلك البرامج الخاصة بمكافحة الآفات الزراعية ، أو نشر الثقافة الصحية ومكافحة الأمراض ، واستغلال شهر رمضان في الندوات الثقافية ، كلها تحتاج إلى ترتيب زمني يتناسب مع ظروفها ومواسمها ، ورغم ما يبدو من بساطة هذه النقطة الخاصة بتاريخ المشاريع ، إلا أنني لم أعثر عليها في وضع برامج المراكز الاجتماعية أو جمعيات الإصلاح الريفي أو الجمعيات التعاونية أو غيرها من برامج المؤسسات الاجتماعية في الريف .

وهناك نوع آخر من الأولوية الزمنية تلميه ظروف القرية وحاجاتها ، وذلك إما لكسب الثقة ، أو تصفية مشكلة اجتماعية بالقرية ، أو رفع الروح المعنوية ، وخلق الجو المناسب للعمل بصورة عامة ، ولهذا الغرض يحسن أن يكون المشروع أو العمل من النوع الذي تظهر نتائجه سريعاً ، كطلمبة مياه عمومية للقرية ، أو إصلاح طريق الجبانة ، أو تسوية الخلاف القائم بين أعضاء الجمعية التعاونية وتشجيعها . كما أن هناك من المشروعات الهامة التي يحسن تأخير أولويتها لشدة حساسية الناس لها ، أو لكونها مثار نزاع شديد بين العائلات أمام المحاكم . ففي

(*) محمد فؤاد جلال ، « الوحدة المجمع » ، في مجلة التربية الأساسية ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، صيف ١٩٥٤ .

هذه الحالة يحسن البدء بمشروع آخر ذي أهمية تدعو إلى تعاون جميع العناصر ، مما قد يسهل تقريب وجهة الخلاف ، ويهيئ الجو للتعاون في المشروعات الكبرى .

وقد تكون الأولوية ناتجة عن إحساس الناس الشديد بقيمة المشروع وإلحاحهم في المطالبة به ، وفي هذه الحالة لابد أن يكون لهذا المشروع أولوية في تصميمه وتنفيذه . ومن أمثلة ذلك حاجة القرويين وإلحاحهم في إنشاء العيادات الطبية في قراهم ؛ وهى لا شك من المشروعات الهامة التى تعتبر أنسب المداخل لتنفيذ كثير من وجوه الإصلاح الأخرى ؛ ومثل هذه المشروعات لابد أن يعطى لها من أولوية النفقات وأولوية الاهتمام ما هى جديرة به .

ويتصل بترتيب الأولويات شرط المرونة والتكيف في خطة العمل وبرامجه ، وليس معنى هذا أن يتغير ترتيب الخطة حسب الأهواء والنزوات الشخصية أو الطائفية في القرية ، وإنما ينبغى أن يكون أساس التعديل مصلحة الجماعة ومناسبة الظروف وطبيعة المشروع . ولا شك أن مبدأ المرونة من الأمور المسلم بها ، ولكن كثيراً ما تعترضه عقبات الروتين الحكومى الذى يعوق هذه المرونة في الصميم ويجعل إقرار مبدعها جبراً على ورق .

ويلزم أن تشمل خطة العمل توضيح الإمكانيات المختلفة التى يمكن استغلالها ، سواء كانت هذه الإمكانيات من مال أو رجال أو معدات ؛ وفي هذه الحالة يفصل أيضاً ما يتوفر من الإمكانيات الموجودة فعلاً ، وما يتوقع منها في المستقبل ، ومصادر الحصول عليه من تبرعات أو دخل للمشروعات .

وأمر مساهمة القرية في وضع الخطة قد أصبح من المسلمات في ميدان الخدمة الاجتماعية . كما أنه من المفيد أيضاً أن تعلن الخطة الرئيسية على أهل القرية عقب الاتفاق عليها بين القادة والإخصائي أو الإخصائيين سواء في مجتمعاتهم الحرة أو في اجتماعات منظمة ، وأن يعرف رد فعل الآخرين لها ، وإمكانية التعديل فيها في ضوء المناقشات العامة ، ثم تتم بلورتها في الصورة النهائية وتعرض على القرية في مناسبة عامة ، أو تكتب أو تطبع لوضعها على حائط مقر مجلس القرية أو المركز الاجتماعى ، ولا بأس من توزيعها في أماكن مختلفة من أنحاء القرية . ويمكن وضع الخطة في صورة مبسطة على شكل تخطيطات أو صور بما

يتناسب مع مستوى الغالبية من أهل القرية . وربما يبدو أن هذا التأكيد لقيمة إعلان الخطة أمر لا مبرر له ، وأن فيه كثيراً من الكلفة والمشقة . وإنما تبرز قيمة هذا الإعلان إذا تذكرنا ما سلفت الإشارة إليه من حساسية الذات لدى الريفي ومدى ما يحس به من أهمية حين يؤخذ رأيه في المسائل ، ثم مدى ما يشعر به من طمأنينة وثقة بقادته حين يعلنون عليه ما يزمعون القيام به ، وبذا يكون هذا الإعلان خطوة من خطوات تبديد شكوك الأهالي في قادتهم ، وهى من الظواهر السيكولوجية التى شكلها تاريخنا فى الشرق العربى .

وتوفر العدالة شرط لازم من شروط الخطة السديدة أيضاً ، وأقصد بذلك توفر العدالة فى المستويات الثلاثة للخطة : فى التفكير والتصميم وفى التنفيذ ، وفيما تعود به من خير . فجزء من عدالة الخطة أن يساهم فى وضعها أكبر عدد من القادة وأن تكون ممثلة لآراء الغالبية من الناس ؛ ثم إنه من العدالة أيضاً أن يشترك فى تنفيذها أكبر عدد من أهل القرية ، وأن يستمتعوا بنتائجها وفوائدها دون قصرها على مجموعة محدودة من ذوى المصالح المكتسبة ، ولا شك أن كثيراً من المشتغلين بخدمة الريف يجدون أنفسهم محوطين بأرباب المصالح المكتسبة فى ثياب القادة ولا بأس من مسايرة هؤلاء إلى حد ما فى أول الأمر ، ولكن لا بد من إشعارهم بعدم العدالة فى احتكارهم أو استشارهم بمشاريع الجمعية أو المركز الاجتماعى ، وأن القيادة تتطلب الإيثارة لا الأثرة .

تلك هى بعض الشروط الأساسية التى ينبغى توافرها فى الخطة الرئيسية للعمل . ولعل وضع الخطة فى ضوء هذه الأسس واتفاق الرأى عليها من الخطوات الهامة الأولى التى تيسر سير العمل وتضمن نجاحه واطراد هذا النجاح ؛ ومن الأفضل أن يتأخر المرء فى البدء بالعمل حتى يعد خطته ويوضح معالمها ، عن أن يبدأ دون خطة ويجد نفسه غارقاً فى تفاصيل العمل دون هدى أو هدف معلوم .

مرحلة التنفيذ والعمل :

ليس من اليسير وصف خطوات محددة لتنفيذ العمل والمشروعات فى الريف ، فإن ذلك يتوقف إلى حد كبير على طبيعة المؤسسة التى تعمل وعلى ميزانيتها ،

وهل يعمل الفرد بنفسه أم أنه يتعاون مع فريق آخر . وكل ما نستطيع أن نقدمه هنا بعضاً من الأسس والأمثلة لتوضيح ما يتطلبه العمل الفعلي والسير في النشاط الإيجابي بالقرية ، وأود أن أعقد في هذا المجال مقارنة بين المشتغل بخدمة الريف وبين المعلم في المدرسة . فالخطة الرئيسية التي أشرت إلى أسسها فيما سلف شبيهة بالمنهج الذي يوجه المعلم في تدريسه ، لكنها لا تغني عن أن يعد المعلم دروسه إعداداً تفصيلياً يبين فيه خطوات الدرس المختلفة . ومثل هذا قمين بأن يحدث في حالة الإخصائي الاجتماعي أو الزراعي أو الصحي . إذ يجب عليه أن يعد مشروعاته إعداداً تفصيلياً يبين الهدف من المشروع ، ومكان القيام به ، وطريقة التمهيد له ، والناس الذين يتصل بهم لتنفيذه ، ومراحل هذا التنفيذ ، وما يتوقع له من صعوبات ، ومدى الفائدة المرجوة منه ، وارتباطه بغيره من المشروعات وكيف يدعو له عن طريق الاجتماعات أو الندوات ، وما هي الطرق التعليمية اللازمة للمشروع إلى غير ذلك من التفاصيل التي يمكن كتابتها في بطاقة خاصة بكل مشروع تجعل للمشروع وحدة يمكن متابعتها . فإذا ما استقر هذا الإعداد المبدئي كان مرشداً للعامل في جميع مراحل هذا المشروع . ولنأخذ مشروعاً ضمن خطة العمل الرئيسية كمشروع إدخال الذرة الهجين في قرية ما ، فإنه من الممكن أن تعد خطوات تنفيذه في الصورة التالية مثلاً :

(أ) المحصول الحالي في القرية :

— معرفة نوع الذرة الشائع ، محصوله ، آفاته ، تكاليف زراعته ، طرق زراعته .

(ب) الذرة الهجين :

— مميزاته ، تكاليف زراعته ، طرق زراعته .

(ج) الدعوة للمحصول الجديد :

— الوقت المناسب لبداية الدعوة (تحديد تاريخ تقريبي) .
— الأمكنة المناسبة للدعوة .

- الطرق الملائمة : في اجتماعات عامة (متى - عدد الاجتماعات) .
- الاجتماعات الحرة - الزيارات - عمل معرض صغير - وسائل الإقناع المختلفة - زيارة الوحدة الزراعية لرؤية حقل مزروع بهذا النوع من الذرة .
- عمل حقل تجريبي يشرف الإخصائي عليه .
- زراعة الذرة الجديدة عند بعض المقتنعين من الأهالي .

(د) صعوبات المشروع :

- التكاليف الزائدة في البداية - كيفية مواجهتها (إعانة مثلاً - تسليف) .
- كيفية الحصول على التقاوى - دور الجمعية التعاونية .
- هل قامت هذه الزراعة من قبل واعترضتها صعوبات أو آفات طارئة - كيفية التغلب على هذه العقبة .

(هـ) متابعة الزراعة الجديدة :

- تسجيل نتائج نموها - تشجيع الأهالي على مشاهدتها سواء في المزرعة التجريبية أو في حقول المزارعين .

(و) إعلان نتيجة الزراعة للأهالي :

- جمع الأهالي وتكليف الزارعين بالحديث عن نتائج زراعتهم - مناقشة بين الزارعين والأهالي مع تأكيد قيمة الزراعة الجديدة في زيادة الدخل .

(ز) تعميم الزراعة الجديدة :

- اجتماعات ، وندوات ، وتوجيهات فنية لهذا الغرض .

(ح) ربط الزراعة الجديدة ببرنامج المدرسة :

- الاتصال بالمدرسة لجعل هذا الموضوع مجالاً للدرس من دروس المشاهدة والمحاضرة والقراءة والحساب - معرض بالمدرسة يبين الفرق بين النوعين من الذرة .

وهذا على سبيل المثال لطريقة إعداد التنفيذ ، وكلما زادت التفاصيل وزادت التصورات والاحتمالات ، كلما كان ذلك أداة فعالة في تنفيذ المشروع وفى تقييمه كما سنشير إليه فيما بعد . وفى إطار هذا الفصل لانستطيع أن نقدم صورة لمشروع معين مبينين مراحل تنفيذه . ولهذا النوع من الوصف تقارير ميدانية خاصة ومجلات وكتب يمكن الرجوع إليها إذ تتعرض لمشروعات عملية بدأ تنفيذها أو تم فعلاً (*) .

ويمكن تقسيم مشروعات العمل الميدانى فى الريف إلى الأقسام التالية :

أولاً : مشروعات يقصد منها الخدمة المباشرة .

ثانياً : نشاط خاص بتنظيم المجتمع والعلاقات بين أفراد وطوائفه ومؤسساته .

ثالثاً : تجارب توضيحية .

رابعاً : تعليم المجتمع .

وهذا تقسيم افتراضى لمجرد التصنيف فحسب ، وكثيراً ما تتداخل هذه الأنواع من العمل . ولا بأس هنا من أن نضرب بعض الأمثلة لما يتم من مشروعات الخدمة المباشرة التى تقوم بها المراكز الاجتماعية فى مصر . والملاحظ أن معظم هذه المراكز قد اتخذت نمطاً معيناً من المشروعات له مبرراته أحياناً فى بعض القرى ، كما أنه لا يستند إلى مبررات قوية فى جهات أخرى ، ومن أمثلة تلك المشروعات :

١ - إنارة القرية : فلا يكاد يخلو برنامج مركز اجتماعى من مشروع لإنارة القرية . وكثيراً ما يكون هذا المشروع نقطة بداية للعمل . وتبرير هذه البداية أنها عمل إيجابى واضح يحس به الأهالى ويشعرون بهجة النور فى الليلة

(*) انظر مثلاً :

التقارير السنوية للمركز الدولى للتربية الأساسية عن القرى التى يعمل فيها : فيشا ، قلى الكبرى دبرىكى . مناووله . كفر سنجلف ، قلى الصغرى ، المقاطع .

Unesco. *Fundamental and Adult Education*, (Quarterly Bulletin).

Community Development Bulletin, issued by the University of London, Institute of Education, (Quarterly).

The Indian Journal of Social Work issued by Tala Institute of Social Sciences.

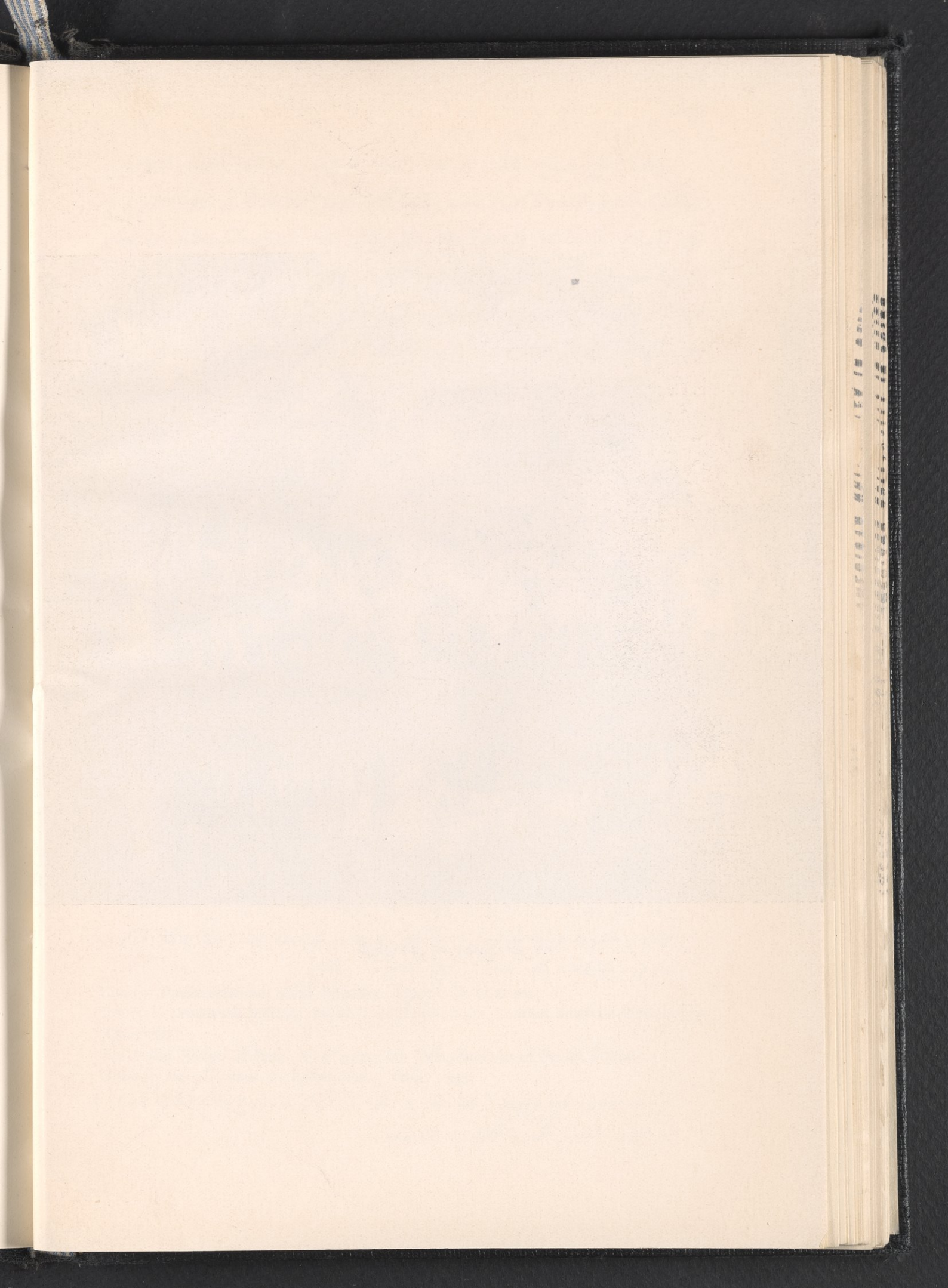
Unesco. *New Horizons at Tzentzenhuaro*. Paris, 1953.

- سعد حسين . قصة نادري (بحث تقدم به كاتبه إلى المركز ؛ مطبوع بالآلة الكاتبة ١٩٥٤)

- تقارير الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية .



شبان القرية يردمون البركة



الظلماء . كما يبرر أيضاً بأنه معين على حفظ الأمن بالليل . ومع ذلك فإنه مشروع كثير التكاليف إذ يصل سعر الفانوس فى بعض الأحيان إلى ١٧٥ قرشاً . هذا فضلاً عن تكاليف غاز الإنارة وعامل الإنارة . فلا بد إذاً من تقدير أهمية مثل هذا المشروع فى ضوء الاحتياجات الأساسية الأخرى للقرية .

٢ - ومن مشروعات الخدمات الأخرى التى يقدمها المركز الاجتماعى العيادة الطبية والعيادة البيطرية . وهذه من أهم المشروعات التى تمس صميم احتياجات أهل الريف . فعلاج الإنسان والحيوان من أكثر ما يشغل أذهانهم . وتأسيس مثل هذه العيادات عن طريق المركز الاجتماعى، أو عن طريق جمعيات الإصلاح الريفى فى مصر ، من المشروعات المفيدة الفعالة فى مواجهة بعض مشكلات القرية الصحية والاقتصادية .

٣ - المشروعات الزراعية ، ومن أمثلتها إمداد القرية عن طريق الجمعية التعاونية بالبذور والتقاوى والأسمدة ، وهذه خدمة أساسية هامة إذ أن الاهتمام بالمسائل الزراعية ، وهى عصب الحياة فى الريف ، من أنسب المداخل للإصلاح عامة ، لأنها من الأمور الجدية التى يأخذها الفلاح بكل اهتمام ، وكل معاونة له فى هذا الميدان تعين على كسب ثقته وإيقاظ وعيه لنواحي الإصلاح الأخرى . وربما ليس من المبالغة فى شىء أن نذهب مع رأى الدكتور ألن فى قوله « ابدأ بتحسين شئون الزراعة » فى العملية الإصلاحية العامة ^(١) Start by improving the farming ومن الأمور المفيدة أيضاً فى هذه النواحي تزويد القرية بالعفارات والرشاشات والمبيدات الحشرية لمقاومة الآفات الزراعية المختلفة .

٤ - وتحتل الساحات والأندية الرياضية مكاناً هاماً فى مشروعات المراكز الاجتماعية أيضاً ، كما يوجد بالمركز الاجتماعى مكتبة للقراءة أيضاً ، يقصد منها أن يقضى فيها الريفيون وقت فراغهم فى القراءة ، كما يمحضونه فى الرياضة والترفيه .

٥ - ويدخل إنشاء المراكز وتجميع تجميعها فى برامج المراكز الاجتماعية فى مصر . وبدأ الكثير منها فى تعميم مرحاض روكفلر ^(٢) ، كما أخذ بعضها على

(١) Allen, H.B, *Rural Reconstruction in Action*. Ch. I. Ithaca Cornell University

Press, 1953.

(٢) محمد محمد عجمية ، مرحاض الحفرة . القاهرة ، مصلحة الصحة القروية ١٩٥٣ .

عائقه دق طلبات مياه عامة في القرية .

٦ - هذا إلى جانب البرامج السينمائية والندوات الثقافية التي تعقد من حين إلى حين .

٧ - تشجيع الصناعات الريفية ، وخاصة تدريب بعض أولاد القرية وشبانها على نسج السجاد والكليم في مقر المركز الاجتماعي .

٨ - وأخيراً بدأت بعض المراكز الاجتماعية في مصر ، كما هو الحال في المرج وأم خنان ومناوهلة والقلج وشطانوف ، بإنشاء دور للحضانة يشرف عليها المركز الاجتماعي ، وترعى أطفال القرية رعاية صحية وتعليمية فيما بين سن الثالثة والسادسة أى قبل مرحلة التعليم الإلزامي .

ولست هنا بصدد مناقشة هذه المشروعات وطريقة تنفيذها ، ومدى تحقيقها للأهداف التي رسمت من أجلها ، وإنما أحب أن أشير إلى ملاحظة أساسية خاصة بطريقة تنفيذ المشروعات التي تقوم بها المراكز الاجتماعية أو غيرها من الهيئات . وتلك هي تكييف بعض تلك الخدمات لملاسات القرية المصرية وظروفها ؛ وهذا هو عنصر هام في ميدان الخدمة الاجتماعية نردده نظرياً وننساه عملياً . فالمهم في أى مشروع من المشروعات هو الوظيفة التي يؤديها ، لا الصورة التي يقوم عليها ، فلو نظرنا إلى فكرة النادي الريفي مثلاً ، لوجدنا أنه لا يحقق غرضه بالصورة التي يقوم عليها الآن ، فقلما يذهب الكبار في وقت فراغهم إلى النادي . ولو اقتصرنا فكرة وجود مكان معين محدد كالنادي على الصغار ، لكان أجدي ، ونحقق غرض الترفيه وتمضية وقت الفراغ للكبار في مجتمعاتهم الحرة ، وأمام الدكاكين وفي الدواوير ، فإن هذا أقرب إلى ظروف القرية وأحوالها . وللمكتبة أيضاً يمكن استغلال مثل هذه الأماكن في القرية بوضع بعض الكتب المناسبة والجرائد والمجلات لدى أصحاب الدكاكين ، وجعلها عهدة لديهم في نظير مبلغ معين ، ويقدمونها لمن شاء القراءة وفي هذا إغراء للزبائن على المجيء إليهم ، أو يمكن وضع بعض الكتب في المساجد ، فهذه أماكن يرتادها الناس ، ولا بأس من توفير الكتب فيها للقراءة .

وإذا لم أوفق في إعطاء الأمثلة فالفكرة واضحة ، وهو أن نهدف إلى تحقيق

الغرض دون أن يتحجر تفكيرنا في صورة خاصة للمكتبة أو للنادى . ولست أدري مثلاً هل نستطيع أن نجعل من صناعة الكليم والسجاد صناعة ريفية ؛ وهل من الأفضل أن تنشط الصناعات الريفية في كل قرية أم تقتصر على القرى والجماعات التي تخصصت في صناعة أو مهنة معينة ؟ وكذلك دور الحضانة ألا يمكن تطويرها بحيث تصبح ملائمة للريف المصرى ، فتأتى الأم مع طفلها وترعاه مدة من الزمن تحت إشراف الحكيمة ، فتتعلم الأم كما يتعلم الطفل ؟ إذ أن الأصل في دار الحضانة في المجتمعات الغربية هو رعاية الطفل أثناء انشغال الأم في عملها بالمصنع ، أو في المكتب . أما في مصر فيمكن أن تأتى الأم أو الأخت الكبرى التي تتعهد الطفل إلى دار الحضانة حتى تستطيع أن تستمر في طريقة الرعاية التي توجهها إليها دار الحضانة ، وإلا هدم البيت ما أقامته الدار .

أما القسم الثانى من النشاط الميدانى ، فهو الخاص بتنظيم المجتمع والعلاقات بين عناصره ومؤسساته ؛ ولا نريد أن ندخل هنا في التفاصيل الخاصة بالمجتمع الناقص التنظيم *underorganized* أو المجتمعات الزائدة التنظيم *overorganized* . ويكفى أن نقول إنه في الحالة الأولى لا توجد في المجتمع التنظيمات الكافية التي تفي بحاجاته ، أو تعجز بعض عناصر المجتمع عن القيام بوظيفتها إزاء العناصر الأخرى ، أما في المجتمعات الثانية فإنه يوجد بها عدد متكرر من التنظيمات يؤدي إلى تكرار في الجهود والتنافس والصراع بينها ، مما يدعو إلى ضرورة تنظيم أفضل يؤدي إلى التماسك والانسجام والاتساق في وظائف هذه المؤسسات (*) .

ومثل هذه النظرة إلى تنظيم المجتمع تتطلب العمل على إيجاد المؤسسات أو التنظيمات الخاصة بسد الحاجات الناقصة ، أو تنسيق الجهود بين مختلف المؤسسات . وفي المجتمع الريفي في مصر أو في غيرها من البلاد العربية تنشأ الحاجة إلى تنظيم المجتمع نتيجة لتفكك العلاقات التقليدية القديمة التي كانت تربط حياة الجماعة ، والتي كانت توجد فيها نوعاً من الثبات والاستقرار أياً كان نوعه ؛ هذا

انظر Sanderson, D. & Polson R.A., *Rural Community Organization*.

New York, John Wiley & Sons, 1939, Ch. V.

(*)

فضلا عن ضغط السكان وضيق الموارد . كل هذا أدى إلى وجود ظاهرة الضغوط الاجتماعية بين عائلات الريف وبين نواحيه ، كما أدى أيضاً إلى خلل في وسائل الضبط الاجتماعي العادية . ومن أهم وسائل الضبط التقليدية لجان المصالحات من قادة القرية وأعيانها وهي التي تتدخل في تصفية النفوس ، حتى ولو ذهبت الحوادث والجنايات أمام المحكمة . وقد ذكر لي أحد العمدة في قرية من القرى أن بلده أكثر استقراراً وأقل حوادث من قرية مجاورة تقع على الضفة الأخرى من التربة ؛ وقد عزا هذا إلى أن المصالحات التقليدية في بلده تأخذ مجراها بصرف النظر عن حكم القانون . ولهذا يمكن أن يقال إن التنظيم الاجتماعي في قريته أكثر إحكاماً من القرية المجاورة .

وفي حالة خلل العلاقات العائلية ، ينبغي على المصلحين الاجتماعيين أن يتداركوه بمنتهى الحذر والحيلة للحساسية الزائدة في نوع العلاقات الشخصية لدى أهل الريف ، وكثيراً ما يكون دخول عناصر أجنبية عن القرية من العوامل المساعدة على تصفية الجو . فإن مجيء أناس من جهة أخرى أو اشتراك موظفين في هذه المسألة يشعر الفريقين بقيمتهم وبالاهتمام بأمرهما ، و « جبراً لخواطر » هؤلاء الذين تكلفوا المشقة ، يتهياً الجو لإيجاد الوثام بين المتخاصمين .

والوسيلة الثالثة في تنفيذ خطط العمل الميداني هي وسيلة الإرشاد عن طريق التجارب التوضيحية demonstration . وقد يكون الغرض توضيح لاستعمال الرشاشة أو العفارة في مقاومة الحشرات ، أو طريقة حرث الأرض واستعمال المضرب القمعي في بذر القطن ، وفي هذه الحالة يعقد الإخصائي اجتماعاً في المكان المناسب لإرشاد الناس على الطريقة الجديدة ، ويقوم بها أمامهم ويكرر طريقة الاستعمال حتى ترسخ في الأذهان ، كما يطلب من بعض الحاضرين القيام بها أمامه للتأكد من إتقانهم وفهمهم لها . وفي مثل هذه الحالات لا ينبغي أن ينقد الطريقة القديمة نقداً هداماً ، لأنها في الواقع قد أدت إلى نتائج ، وإنما عليه أن يؤكد ميزة الطريقة الجديدة أو الآلة الجديدة وميزتها عن المؤلف .

وإذا كان هذا النوع من التوضيح يهدف إلى بيان الطريقة أو الوسيلة method demonstration فإن هناك نوعاً من التجارب التوضيحية تهدف إلى بيان

النتيجة result demonstration . مثال ذلك إدخال نوع جديد من البذور يؤدي إلى محصول أوفر . ويمكن أن يتم هذا التوضيح إما عن طريق إقناع بعض الأهالي بتجربته في حقولهم العادية ، أو أن يتم هذا عن طريقة زراعة حقل للإرشاد لمعرفة نتيجة هذه البذرة الجديدة ، واتخاذها وسيلة لإقناع الناس لاستعمال هذا النوع من البذور . ولا شك أن للطريقة الأولى مزاياها حيث يكون الشيء الجديد في الظروف العادية المألوفة فلا تعزى نتائجه لاهتمام خارق من ناحية المرشد ، أو إنفاق زائد في العناية به مما أدى إلى النتيجة المرغوبة . ولحقل الإرشاد الخاص ميزاته أيضاً ، فإن مثل هذا الحقل يمكن المرشد من التحكم في كل مقتضيات الزراعة الجديدة ، وتوضيح النتيجة المطلوبة . كذلك يمكن أن يجعل من مثل هذا الحقل وسيلة توضيحية للفرق بين الطريقة القديمة والطريقة الجديدة ، بزراعة جانب منه على الطريقة التقليدية ، والجانب الآخر على الطريقة الحديثة . وهذا يقابل طريقة المجموعة الضابطة Control group في المنهج التجريبي . ولعل إيضاح المفارقات وعمل الموازنات من أهم الوسائل التي ينبغي أن يلجأ إليها العامل في مشروعاته أو إيضاحاته . فلا يكفي أن يتحدث أو يظهر المرء ميزات الجديد ، بل يجب مقارنتها بالقديم في صورة واضحة مقنعة لا تدعو إلى الشك أو التردد ، وهذا هو منهج القرويين أنفسهم ، بل إنهم هم الذين يقومون بالمقارنة أنفسهم إذا لم يقيم بها المرشد . ومن أمثلة ذلك ما رواه أحد الإحصائيين الاجتماعيين من أن إحدى الفلاحات قد اقتنعت بعد مناقشة مع الإحصائي أن تجلب لبن بقرتها ليتم فرزها في فراز المركز الاجتماعي . وقد داومت فعلاً على جلبه إلى المركز لمدة أسبوع ، وانقطعت عن ذلك لمدة أسبوع آخر ، ثم أتت لفرزه مرة ثانية في الأسبوع الثالث ، فلما سأها الإحصائي عن سبب تغيبها ذكرت له أنها كانت تخض اللبن وتفرزه بالطريقة القديمة في بيتها خلال الأسبوع الذي تغيبت فيه لتؤكد من الفرق بين النتيجتين خلال أسبوع بأكمله . فهذا نهاية المنطق العلمي التجريبي في المقارنة بين الطريقتين . ولذا فإنه من الأجدي أن يقوم المرشد بصورة ما بعملية المقارنة أثناء توضيحه ، ولا بأس أن يقوم الأهالي بالتأكد بعد ذلك بأنفسهم . وحاشية أحب أن أضيفها إلى هذه النقطة خاصة بالطريقة

التوضيحية أو الإرشادية تتعلق بإنتاج الأفلام الثابتة التعليمية ، إذ يستحسن فيها ألا تقتصر على الدعوة لطريقة الزراعة الجديدة أو أفضل الوسائل لتربية النحل بل تشمل أيضاً المقارنة مع الطريقة القديمة ، أو الأضرار والحسائر التي تنجم عن عدم الاهتمام بالنحل في مرحلة معينة أو مقاومة الدبور أو عدم تغذية النحل ؛ فوضع الطريقتين جنباً إلى جنب أكثر تأكيداً وأقوى أثراً وأشد إقناعاً .

والنقطة الأخيرة في تنفيذ المشروعات هو الناحية التعليمية التي تصاحب تلك المشروعات ، أو تهدف إلى كسر العادات القديمة وإكساب عادات جديدة في النواحي الصحية والاجتماعية . والمهم في هذه الناحية التعليمية أن تكون منصبة بحق على مشكلات القرية الواقعية ، وأن تتخذ من المعدات والأدوات ما يكون معيناً على الناحية الكلامية في الإقناع ، وخاصة عن طريق ما يعرف بالوسائل السمعية البصرية . فمن المشكلات الحقيقية التي قد لا تلمس مساً جدياً مشكلة شرب الشاي الأسود في القرية ، أو تعاطي المخدرات وتدخين المعسل ، أو مشكلة دود المش ، أو مشكلة الثأر ، أو مشكلة الاستهتار في اجتماعات لجان القرية ومجالسها . فمثل هذه المشاكل هي من صميم الحياة الريفية ؛ فلا بد للنواحي التعليمية من أن تواجه هذه المشكلات ، ولا بد للوسائل التعليمية من أن تعنى بها ، قبل أن تعنى بمسألة تعليم الحياطة ، أو منع الناس من العطس في الهواء ، أو منع الأمهات من تقييل أطفالهن . فمثل هذه الأمور ، وإن كانت على جانب كبير من الأهمية ، إلا أن أهل القرية أنفسهم لا يحسون بها ، في حين أن المشكلات الأولى تشغل أذهان القرويين فعلاً ، ولا يجدون فيها مرشداً ولا هادياً . فلنبداً بما هو مشكل في نظر القرويين فعلاً متطورين منه إلى ما نعتبره نحن مشكلاً في نظرنا . وليس هنا مجال التحدث عن مقتضيات الوسائل السمعية البصرية لتكون فعالة لدى أهل الريف ، وإنما المهم فيها على الإجمال أن تكون واضحة بسيطة تبرز الفكرة أكثر مما تعتمد على الفن (*) .

(*) تبين لي أن القرويين لا يهتمون في الصورة إلا بما يبرز منها ، ولذا كانت التفصيلات الخلفية Background قليلة الأهمية . وقد حاول أحد الفنانين في إعلان عن حملة للتطعيم ضد الجدري أن « يبرز » حقنة التطعيم فصورها كبيرة الحجم . وقد أدى هذا إلى نفور كثير منهم وخاصة الأمهات مما زاد تخوفهن على أطفالهن .

مرحلة التقييم (*) :

يمكن اعتبار هذه المرحلة بكل بساطة على أنها مرحلة تقدير النتائج ومعرفة ما للمشروع وما عليه ؛ ويمكن تقسيمها إلى الخطوات التالية :

أولاً : تقدير قيمة النتائج من الناحية الكمية والكيفية .

ثانياً : معرفة مناسبة الوسائل في تحقيق الغايات والأهداف .

ثالثاً : صحة الفروض والأسس التي قام عليها المشروع ، ومدى صحة الغايات والأهداف نفسها .

رابعاً : الدروس التي يمكن الاستفادة منها في ضوء نقائص المشروع ومزاياه والاهتمام بعملية التقييم كعملية أساسية في الخدمة الاجتماعية أمر جديد أملتته ضرورة استفادة المرء من خبراته ، ونقل هذه الخبرات إلى غيره ، والحاجة إلى تكييف تلك الخبرات في ظروف جديدة ، خصوصاً وأن ظروف العمل الاجتماعي ظروف معقدة متشابكة ، تحتاج إلى وعى زائد بها تتصدى له عملية التقييم . ويمكن أن يقدر المشتغل بالريف نتائج عمله بصورة عامة بسؤال نفسه الأسئلة التالية :

- ١ - هل تعلم القرويون أشياء جديدة ؟
 - ٢ - هل تغير شيء في سلوك القرويين وعاداتهم ؟
 - ٣ - هل أحس الناس باللذة والمتاع في ممارسة الأمر الجديد ؟
 - ٤ - هل أحس المرشد نفسه باللذة والمتاع في هذا العمل ؟
- وأظن أن هذه الأسئلة الأربعة تعطي صورة عامة لمدى نجاح أى مشروع أو عمل في الريف ؛ فليس المهم فقط تكسير عادات قديمة ، بل لابد من تكوين عادات جديدة تحل محلها . وإحساس المرشد باللذة في عمله دليل على وجود استجابة فعالة بينه وبين الناس ، وشعور الأهالي أنفسهم باللذة والحماس دليل

(*) أفضل استعمال كلمة التقييم رغم عدم مطابقتها للاشتقاق العربي السليم وهو التقييم حتى لا يختلط معناها وهي مرادفة للكلمة الإنجليزية Evaluation .

على قيمة المشروع لديهم ؛ وهذه الأسئلة بالطبع عامة ، وإنما تحدد المواضع التي يمكن أن تعتبر محسبات لتقدير نتائج العمل .

ومناسبة الوسائل وعلاقتها بالأهداف من العناصر الهامة في التقييم أيضاً . فكثيراً ما نرى مشروعات ناجحة ، ولكننا لا نعلم الكثير عن بواطن الوسائل والأدوات التي استخدمت لتحقيقها . وربما كان هذا من الأمور الغالبة على كثير من مشروعاتنا التي يراد بها الدعاية أو الظهور . والأمانة في التقييم تقتضى أن يبين المرء مدى الجهد والمال والظروف المختلفة التي أدت إلى نجاح المشروع ، فربما كانت ظروف القرية نفسها عند البداية مهية لمثل هذا المشروع ، في حين أن ظروف قرية أخرى كانت معطلة له مما أدى إلى التوفيق فيه في القرية الأولى . فتقدير نقطة البداية مهم . وقد تنجح دار للحضانة في مركز اجتماعي معين لقربه من القاهرة ، أو لاهتمام طائفه معينة من الناس به ، وإعطائهم له قسطاً غير قليل من الرعاية ، وربما يكون فاتراً في قرية أخرى لعدم توافر الوسائل . وربما كان لشخصية الإخصائي دور في نجاح المشروع . فتسجيل مختلف الوسائل وعرضها بأمانة وإخلاص من الأسس الهامة في تقدير أى مشروع وتقييمه . وبمعرفة الوسائل وعلاقتها بالأهداف والنتائج يمكن أن نعلم مدى إمكانية تنفيذ المشروع في بيئات أخرى ، أو مدى إمكانية استمرار المشروع بنفس النتائج في نفس المكان .

وفي أحيان غير قليلة يهدف المصلح الاجتماعي إلى غرض ما ، كخدمة طائفة معينة من أهل القرية ، ثم نجد أن مشروعه في نهاية الأمر قد أدى إلى خدمة طائفة أخرى ، والمشروع في حد ذاته كمشروع يعتبر ناجحاً ، ولكنه لم يخدم الطائفة التي كان يقصد خدمتها . ففي هذه الحالة تعتبر الفروض التي وضعت غير صحيحة ، ولا بد من تعديلها وتعديل الوسائل للوصول إلى الغرض الصحيح .

ولا شك أن التقييم لا يقصد لذاته ، وإنما للاستفادة منه في تعديل الخطة القديمة في ضوء الخبرات المقدرة ، وبذا تكون الخطة الجديدة أكثر إحكاماً ووسائلها أكثر واقعية وتأثيراً ، ومن ثم كان لا بد من اعتباره والاستفادة منه في

وضع البرامج الجديدة وتفادى النقائص التي عوقت المشروع أو قللت من قيمته . ومن التقييم يستطيع أن يعرف المرء إذا كان هذا النقص في دراسة المشروع أو في مدى الاتصالات بالناس أو في اختيار الأشخاص المناسبين أو في عدم كفاية الإعلان والدعوة إلى غير ذلك .

وعملية التقييم تتطلب تسجيلاً منتظماً للمشروع ، يقابل بين ما يراد تحقيقه وما يتحقق فعلاً ، ومحاولة قياس النتائج وتقديرها تقديرًا كميًا ما أمكن ذلك . ويمكن أن يتم في كل مرحلة من مراحل العمل . فيستطيع أن يقيم المشتغل بخدمة الريف مدى نجاح اجتماعاته مثلاً بعمل سجل خاص لها يشمل الغرض منها ، والوسائل التي استخدمها وطريقة الدعوة وعدد الحاضرين ومكان الاجتماع ، ومدى استجابة الأهالي وأنواع المسائل التي نوقشت وعدد من اشترك في المناقشة ، وهل تحقق من توضيح الفكرة للناس وكيف تأكد من ذلك ، وهل حدد موضوع المناقشة للمرة القادمة ومكان الاجتماع ووقته . ثم يتابع هذا بتسجيل آثار ذلك الاجتماع ، وفيمن أثر ، ومن قاوم الفكرة ولماذا ؟ وهكذا يستطيع المرء أن يقيم تأثير تلك الاجتماعات بنفسه ، حتى يستطيع أن يصل بنفسه أيضاً إلى أحسن الوسائل لجعلها أداة فعالة في عمله ونشاطه .

وفي ضوء هذه الأسس أيضاً يمكن تقييم المشروعات الكبرى كالمراكز الاجتماعية مثلاً . وقد قام أحد مبعوثي المركز بكتابة بحث في تقييم هذه المراكز ليدرس الكفاءة في أعمال المراكز ، أو بمعنى آخر العائد من الجهود البشرية المبذول فيها ومن الأموال المنصرفة عليها ، وليبين مدى صلاحية هذه المراكز في القيام بالوظائف المطلوبة منها ، وفي مقابلة حاجات المجتمع (*) . وقد حاول الباحث قدر طاقته أن يقيم أثر مركزين اجتماعيين في النواحي الآتية :

- ١ - الإنتاج الاقتصادي في القرية .
- ٢ - مدى مساهمة الأهالي في المشروعات .
- ٣ - نوع المشروعات التي تمت ومدى نجاحها .

(*) أحمد شوقي الخولي . تقييم العمل في المراكز الاجتماعية . (بحث مقدم إلى المركز الدولي

للتربية الأساسية ؛ مطبوع بالآلة الكاتبة ؛ ١٩٥٤) .

٤ - اكتشاف القادة المحليين وتدريبهم .

٥ - تنظيم المجتمع الريفي وأثر المركز في النمو الفكري والاجتماعي بالقرية .

وقد لجأ في سبيل هذه العملية إلى الاتصال بالإخصائي الاجتماعي وبموظفي الإدارة المشرفة ، ومقابلات مع الأهالي ، والاطلاع على التقارير ومحاضر لجان المركزين . والقارئ لمثل هذا البحث يحس إحساساً عملياً بما تقوم به المراكز الاجتماعية فعلاً ؛ ويرى علاقة الفلسفة الرسمية المكتوبة للمراكز الاجتماعية بما هو جار فعلاً في مثل هذه المراكز . وهذه مهمة أساسية من مهام التقييم إذ يوضح لنا الفرق بين السياسة المرسومة وبين مجريات الواقع .

ويمكن أن تكون طريقة الاستفتاء وسيلة من وسائل التقييم ، يتبين منها الباحث أيضاً علاقة ما نوى تنفيذه أو الوصول إليه بما حدث فعلاً . وقد لجأ إلى هذه الوسيلة مبعوث آخر (*) من مبعوثي المركز ليتبين آراء المبعوثين في المركز في التربية الأساسية ومدى استفادتهم من مختلف ميادين عملهم بالمركز ، فوضع استفتاء مسهباً استطاع فيه آراء المبعوثين عن مدى تفهمهم لأهداف المركز ، وقيمة التدريب في العمل الميداني بالقرى ، ومدى استفادتهم من مختلف مواد الدراسة العامة والخاصة ، ومن طرائق البحث والإنتاج ومن الحياة الاجتماعية بالمركز . وقد حلل نتائجه تحليلًا إحصائيًا استطاع أن يقدم في ضوءه اقتراحات محددة تتصل ببرنامج تدريب المبعوثين في المركز .

وبعد ، فمرحلة التقييم إن هي إلا وسيلة لتحقيق ما قاله سقراط قديماً « اعرف نفسك » ، وعن طريق معرفتك لنفسك ، ولظروف عملك ، تستطيع أن تكون على بصيرة فيما تعمل ، وأن تكون خبرتك أكثر نمواً ونضجاً .

(*) محمود عوف . بحث إحصائي تحليلي عن آراء مبعوثي الدول العربية في التربية الأساسية

وعملهم وبالمركز ومدى استفادتهم منه (مطبوع بالآلة الكاتبة ؛ ١٩٥٤) .

الفصل الخامس

صور من نشاط العمل الميداني في قرية مصرية

إن صور العمل الميداني التي سنعرض لها في هذا المقال الختامي إن هي إلا عينات مما يقوم به خبراء المركز ومبعوثوه في الأوقات المخصصة للعمل الميداني من برنامج التدريب ، حيث يقوم مبعوثو المركز في صورة فرق مكونة من مدربين من مختلف الأقطار العربية ، وفي مختلف الاختصاصات ، من زراعة وصحة وتعليم وشؤون اجتماعية ، على العمل كفريق في قرية إلى جانب بقية برنامجهم في المركز نفسه . ولن يكون عرض المشروعات عرضاً فنياً كاملاً ، بل سيكون مجال الاهتمام والتركيز على الجانب البشري في تنفيذ هذه المشروعات ، واستخلاص بعض الفوائد العامة التي يمكن أن يسترشد بها العاملون في مجال الإصلاح الاجتماعي في الريف . وسيضطر الكاتب في هذا المجال إلى إخفاء بعض المعالم المتصلة ببعض نواحي النشاط الميداني لدقتها ، وحتى لا تدع مجالاً لحساسية الشخصيات أو القرى المتصلة بها . كما سيهتم بإعطاء بعض التفاصيل التي لا غنى عنها لتصوير المواقف بلحمتها وسداها .

صور من مرحلة التعرف :

دخل فريق المبعوثين ومعهم رائدهم إلى القرية أول مرة ، فاستقبلهم بعض قادتها استقبالا طيباً ، وقدموا لهم الشاي وأكرمهم غاية الإكرام ، ثم طافوا بهم في أنحاء القرية ، وأطلعوهم على المدرسة وبعض الدواوير ، ومنحل بلدي ،

وعملية المياه ، وطاحون الغلال ، ثم انتهى المطاف إلى مقابر القرية الجديدة التي تبعد عنها بعض الشيء . ولم يسأل الناس إلا أسئلة خافتة عن سر قدوم هذه الجماعة إلى القرية .

وفي اليوم التالي بدأ الناس يتساءلون جماعات وفرادى مسائلة واضحة عن أغراضنا ، وقد تطوع بعضهم فعلاً لرسم هذه الأغراض وما ينبغي أن نعمله ، كما ساورت بعضهم شكوك مختلفة عن طبيعة عملنا ، وحاولنا أن نوضح لهم أهدافنا وإمكانياتنا ومنهج عملنا بطريقة عامة ، ففهم فريق واقتنع ، وفهم فريق آخر ولكنه لم يقتنع ، يدل على ذلك ما أضافوه من عبارات تسبقها كلمات « لكن وإنما » وغيرها .

وفي اليوم الثالث انهار علينا القرويون بالمطالب العامة والشخصية ، فهؤلاء يريدون مستشفى ، وأولئك يريدون إصلاح القنطرة التي على التربة ، وهذا يريد أن نزيل الغاب الذي وراء بيته ، وذلك يريد أن ينقل ابنه من مدرسة إلى أخرى ، وفلان يشكو من قلة مياه الري ، وعلان يتذمر من البركة التي تجاوز حقله وهكذا .

وفي الأسبوعين التاليين تطوع القرويون لإعطائنا فكرة عن القرية ، وهنا يسمع المبعوث رأيين متعارضين : رأى الفخوريين بقريتهم المعتزين بما فيها من قوم ومن تراث ، وبمن برز فيها من الرجال المتعلمين ، سواء في داخل القرية أو خارجها ، ورأى الناقمين الساخطين ، الذين يؤكدون أن حال قريتهم مائل ، وأنها لا تستحق الخير ، فقد غضب الله عليها وعلى أهلها الذين فسدت نفوسهم ، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وفي خلال هذه المدة أيضاً يستمر جماعة من الناس في الاتصال بأعضاء الفريق ، مهتمين بأمرهم وبما سيقولون ويفعلون ، بينما تنصرف عنهم وجوه أخرى غير مؤمنة بقيمة ما يسمعون .

هذه هي المراحل الأربع الأولى التي يصادفها المشتغل أول ما يصادف من استجابة الناس له ، وكثيراً ما تظهر بهذا الترتيب حيث يرحب القرويون بالقدام إليهم ترحيباً حاراً ويطلعونه على الأمور أو المباني أو المرافق التي يعترفون بها في قريتهم ، مخفين عنه مشاكلها ، وربما لا يسرون أول الأمر في شوارعها

الضيق ولا يطلعونه على بيوتها التي « لا تشرف » على حد تعبيرهم . ثم تبدأ مرحلة التساؤل عن الغرض ، يتلوها جس النبض ، ومحاولة استغلال الإخصائي إلى أقصى حد ممكن في مختلف النواحي ^(١) ، ثم يبدأ القرويون في توضيح نزعاتهم واتجاهاتهم نحو الإصلاح ، أو مدى ثقتهم في التعاون مع بعضهم ، وتعارض المصالح المكتسبة في القرية .

لا شك في أن هذه المظاهر أمور طبيعية ، كرد فعل للريفيين على قدوم المبعوثين إليهم ، ولكن كانت الصعوبة في محاولة تفهيم القرويين أهدافنا ووسائلنا وإمكانيتنا في العمل . إذ أذكر أننا بعد مناقشة طويلة مع أحد الفلاحين في أغراضنا لحص الموقف بقوله « جئتم لتحلوا المشكلات وتفتحوا الطريق » ، فظهر على أحد المبعوثين عدم الرضا عن ذلك الفهم ، وفي مناسبة أخرى ذكر قروي أن التعاون في إصلاح الطريق مثلاً هو عمل لله ، فأراد المبعوث أن يؤكد أن هذا عمل للقرية ولمصلحة الجماعة . والعبرة في مثل هذه الأحوال ليس بالتعبير في حد ذاته وإنما بالإحساس ، وفهم جوهر الموضوع ، بصرف النظر عن الصياغة الكلامية التي لا داعي لتمسك بها ^(٢) .

وكنا نؤكد في كل فترة من فترات حديثنا مع القرويين حقيقة مهمتنا ، حريصين على ألا نبالغ فيما ينتظره القرويون من جهودنا ، فكنا نقول إن هذا من اختصاص الحكومة ، وعليكم أن تتجهوا إلى الجهات المسؤولة أو الإدارات المختصة في شأنه ، وإن ذاك من شأن أهل القرية أنفسهم ، وإننا لا نستطيع التدخل فيه . كما كنا حريصين في كل كلامنا على أننا لا نستطيع أن نقوم بأي جهد إلا بمعاونة القرويين أنفسهم ، وبما يستطيعون بذله من معونة مادية أو

(١) ينظر كثير من الريفيين إلى المتعلم على أنه ملم بكل شيء في مختلف النواحي الزراعية والصحية والتعليمية وأنه قادر على إفادتهم في جميع هذه النواحي .

(٢) أود أن أذكر في هذا المجال حادثة رويت لي عن إخصائي اجتماعي كان يشرح مهمته للقرويين في أول اجتماع معهم فذكر أنه جاء ليثير الوعي فيهم ، واحتج أحد القرويين المتعلمين المستمعين على هذا التعبير على زعم أن الإخصائي يتهم الأهالي بعدم وجود وعي لديهم وأن في هذا مساساً بكرامتهم ، ولذا يحسن تجنب مثل هذه العبارات . وليس من الكياسة في شيء أن يجاهر المصلح بأحكام القيم على مظاهر الحياة للناس أو أن يذكرها على ملأ منبرهم فربما ينتج عن ذلك أن تستغل مثل هذه الأحكام فيما يعطل عملية الإصلاح كما حدث في مثل هذه الحالة إذ قاطع الناس اجتماعات الإخصائي فعلاً .

بشرية ، والمهم في هذا كله ألا يرفع المصلح مستوى آمال الناس أكثر مما يستطيع تحقيقه أو الوفاء به . فإن ذلك مدعاة لفقدان الثقة فيما بعد ، ولأن يكون الفرد متواضعاً ، عارفاً لحدوده وقدراته مهما تكن خير من الادعاء والبريق الذى لا يلبث أن تنكشف حقيقته عند مواجهة الواقع .

وقد كان دخولنا للقرية في الأسبوع الأول على شكل مجموعة واحدة ؛ وغرضنا من ذلك أن يألف أهل القرية أفراد تلك الجماعة حيث كنا ننزل في الأماكن العامة ، كالدواوير أو بيت العمدة ، أو نجلس على المصطبة أمام الدكان . أما منذ الأسبوع الثانى فقد كنا نسير مثنى وثلاث حتى إذا ما استضافنا شخص في القرية ، لن يكون ذلك إثقالاً كبيراً على كاهله . وقد نجحت الخطوة فعلاً واستدعانا الناس إلى بيوتهم ، ثم بدأنا بعد ذلك بالسير فرادى أو حسبما تتطلبه خطة العمل .

ولعل أكثر الموضوعات استدراكاً للحديث مع القرويين في البداية مع أمثالنا من الناس ، هى الأنباء السياسية أو ما يدور في الصحف أو يسمعه في الراديو ، يتلو ذلك أنباء الأفراح والأموات في القرية (ولا شك أن « أداء الواجب » بالتهنئة أو المواساة من أوجب الأمور التى كنا نقوم بها وما زلنا نقوم بها في عملنا الميدانى) . ثم تأتى أخبار الزراعة ومواسمها ، وما تم من العمليات الزراعية ، وما يتهيأ الناس له في الأيام المقبلة ، والكلام عن الري ومنسوب المياه . وقد وجدنا أن من الطرق الاستدرجية في الكلام أول الأمر هى أن نطلب من القرويين أن يحدثونا عن القرى المجاورة ، إذ أن الحديث عن الغير أيسر ولا يدعو إلى الحرج . ويمكن أن يأخذ الإنسان منه عن طريق طلب المقارنة صورة مبدئية عن بعض ظروف القرية نفسها . كذلك من بين الوسائل المجدية أن يبدأ الواحد منا بقوله : « فى قريتنا يفعلون كذا وكذا . . . فماذا يفعلون هنا . . . » وكثيراً ما يكون الحديث عن الأولاد أو البنات وأسمائهم وأعمارهم وصفاتهم مدخلا صالحاً لتجاذب أطراف الحديث فى مسائل أخرى ، وخاصة مع النساء .

وربما كانت مسألة الاتصال بالناس والتعرف على القرية من الأمور التى تعتمد على شخصية الإخصائى أكثر مما تعتمد على أى شىء آخر ، ولكن

الإخصائي الحديد أو المدرب على أى ميدان من ميادين الخدمة الاجتماعية يمر في البداية بمرحلة شاقة لحصها أحد المبعوثين في تقرير له ، إذ يقول « وأنى لأذكر يوماً خرجت فيه بمفردى إلى الحقول وصرت أتجول فيها ، وفي ذهني التعرف على المزارعين وعلى مشاكلهم . . . فانتقلت من حقل إلى حقل أرى مزارعاً فأقصده وأحييه وأحاول الاحتكاك به ، فأجد منه انصرافاً عني إلى العمل ، وأقصد آخر فلا أجد منه أكثر مما وجدت من الأول وهكذا . . . وقد كان لذلك رد فعل في نفسي ، شعرت من نتيجته بضيق ومرارة ، وتصورت الأمر مشكلاً ، وتجمعت في ذهني صور كثيرة لمتاعب ومشاكل تتجدد ، لكن زال هذا الشعور حينما اجتمع فريق المبعوثين وأبدى أعضاؤه ملاحظات مشابهة عن سلوك الناس في هذه الفترة . . . »

وقد كان من مناهج عملنا مع القرويين أن ندعوهم إلى مقر المركز أيضاً لنطلعهم على نشاطنا فيه ، ولنتحدث معهم في شؤون القرية أيضاً . ويستطرد بي تبادل الزيارات إلى ناحية عملية أعتقد في ضرورتها ، وهي أن الإخصائي والطبيب البشرى والطبيب البيطرى والمرشد الزراعى لا ينبغي أن يقتصر اتصالهم بالأهالى على مكان الوحدة الاجتماعية أو مقر العيادة أو على الوحدة الزراعية ، بل يجب أن يمتد إلى زيارة الناس في البيت وفي الحقل وفي مجتمعاتهم العادية ، وكما يدعو الناس إلى مؤسسته ، يدعو نفسه إلى مؤسساتهم ، لأن ذلك مدعاة لتوثيق الصلة وتوجيه لهم على الطبيعة إلى بعض الأمور التي قد يجدون حرجاً في عرضها بالمؤسسة ، وكذلك فيه حث لهم على أمور أخرى قد يجدون أنها لا تحتاج إلى عرض أو علاج أو إرشاد .

وقد تبادر إلى أذهان عدد من مبعوثي المركز أنه لا داعى لمرحلة التعرف ، وأنه يمكن أن نبدأ مباشرة بالقيام مع القرويين بمشروعات إيجابية ، دون حاجة إلى معرفة الناس أو ظروف القرية . وقد حدا ذلك ببعض المبعوثين إلى الوقوع في أخطاء كالإشارة إلى الناحية الشرقية من القرية على أنها الناحية الغربية ، أو إلى الخلط بين القمح والشعير أو البرسيم والحلبة . ومثل هذه الأخطاء قد يبدو تافها ولكنها تعتبر في معارف الريفيين من البديهيات التي لا يخطئ فيها أحد . فكيف

يكون موقف من أتى لإرشادهم وتوجيههم إذا ارتكب مثل هذه الأخطاء ، ومثل ذلك كمن يشير إلى زوجة الرجل على أنها أمه نتيجة لعدم معرفته بأفراد الأسرة ، فيحرج نفسه ويحرج أهل البيت معه .

ومن المشروعات التي أفادت إحدى الفرق في الاتصال بالناس أحياء بعض السهرات الليلية في شهر رمضان ؛ وقد تبين لأعضاء الفريق أن الأهالي يقضون سهراتهم في شهر رمضان في بيوتهم دون تنظيم لها كما يحدث في بعض القرى ، وأظهر بعضهم الرغبة في إحيائها بصورة منظمة ، وقد أردنا أن ننهز هذه الفرصة بالذات لنتمكن من جمع صفوف قادة القرية الذين كانوا مفكرين ولا يجتمعون مع بعضهم . فقام أعضاء الفريق بتنظيم اجتماعات في مختلف نواحي القرية على حدة ، وكان ذلك في الأمسيات السابقة لشهر رمضان . وقد وجهت الدعوة إلى كل شخص باسمه الخاص ، وأثير في هذه الاجتماعات مرة أخرى ما يمكن عمله في شهر رمضان ، وإمكانية تنظيم السهرات بحيث تكون ممتعة ومفيدة ، وفي هذه الاجتماعات حدث صراع بين تفكيرنا وتفكيرهم ، فقد رغب الأهالي في أن تنظم السهرات مرتين أو ثلاث مرات في كل ناحية على حدة خلال الشهر ، وكنا ملحين في أن يكون الاجتماع في مكان واحد لجميع النواحي ، وفي أي مكان يختارون . وقد انفضت هذه الاجتماعات التمهيدية بتقبل فكرة الاحتفال بشهر رمضان ، ولكننا لم نتفق على مكان معين حسبما كنا نبغى جمعاً للشمل وضمماً للصفوف ، وربما كنا متسرعين في الوصول إلى هذا الهدف دون معرفة دقيقة لعوائقه وصعوباته ، وكما أن الاتحاد وسيلة فهو غاية أيضاً نصل إليها بعد مراحل متعددة .

وتركنا هذه المسألة أسبوعاً ، ثم دعونا إلى اجتماع من ممثلين للنواحي المختلفة في مكان محايد لرجل من رجال الدين يحترمه الجميع ، وقد حضر هذا الاجتماع حوالي ثلاثين شخصاً ، ولم يتم الاتفاق على مكان أيضاً ، واقترحنا مدرسة القرية فهي مكان عام ، خصوصاً وقد أعدنا العدة لذلك بأخذ تصريح من المنطقة التعليمية توقعاً لما قد يحدث من خلاف ، فوافقوا عليه .

ولكن بمجرد أن انفض الاجتماع العام بدأ الناس في صورة اجتماعات

صغيرة يتهايمسون حول المكان وأن المدرسة في جهة معينة ، وأنهم لن يشعروا بالراحة في فناء المدرسة ، وأن الاجتماع بها ليس من تقاليدهم وخاصة في هذه المناسبة . وقد تبين لنا فعلاً أنه من العسير اجتماعهم فيها . وأخيراً عرضنا عليهم أن نجتمع معاً في بيت المبعوثين أنفسهم ، وأن نبداً سهراتنا هناك فصادف ذلك هوى في جميع النفوس .

وقد كونا منهم بالاشتراك مع المبعوثين لجاناً للأثاث اللازم ولجنة للبرنامج ولجنة للاشتراكات ولجنة للإشراف على عمل الشاي والقهوة . وكان الغرض من هذا بدء تعويدهم على التنظيم والتعاون وتحمل المسؤولية . وقد تم كل ذلك بالاشتراك بين الأهالي والمبعوثين ، وتبياً الجوارح لإحياء سهرات رمضان التي كنا نقصد من ورائها أيضاً زيادة التعرف على القرية وأهلها ومشكلاتها .

وقد تم تأجير مكبر للصوت (ميكرفون) في أول ليلة ، كما تبرع أحد الأهالي بجهاز راديو للسهرة ، وقد حرصنا على وجود الميكرفون في هذه الفرصة لأنه وسيلة من وسائل الإعلان الكبرى عن تنظيم هذه السهرات ، خصوصاً وأن الميكرفون له إغراؤه في جذب الناس وتشويقهم . وقد اشتمل البرنامج على كلمة من أحد الأهالي مرحباً بالموجودين ومهنئاً بحلول شهر رمضان ، وكلمة من أحد المبعوثين لتوضيح الغرض من هذه السهرات ، ثم استمعنا إلى القرآن الكريم من الإذاعة ، ثم بدأ أحد المبعوثين يقرأ فصلاً من قصة أبي زيد الهلالي بطريقة تمثيلية واضحة ، وبعد فترة أكمل القراءة بمبعوث آخر ثم بدأنا نتحدث أحاديث عادية حتى منتصف الليل ، وكانت أقداح القهوة والشاي التي كانت تعدها لجنة البوفيه تدور بين الحاضرين (*) .

وكان الاتفاق على أن نعقد هذه السهرات ليلتين في الأسبوع ، واستقر

(*) من الأمور التي تحدث عادة بين القرويين اختلاف وجهات النظر بين المتزمتين وغير المتزمتين . ففي هذه الليلة مثلاً أذكر أن فريقاً من القرويين لم يكن راضياً عن قصص أبي زيد الهلالي لأنها لا تتناسب مع ما ينبغي لهذه الليالي من إحياء جليل . ومع هذا فلا بد من إتاحة الفرصة لغير المتزمتين للاستمتاع بما يروح عنهم ويصرفهم عن الشر أو يذهب عنهم السأم على الأقل ، وحتى في نفس القرية نجد اشتراكاً لدى المتعلمين من عادات غير المتعلمين وميولهم .

الرأى فى نهاية الليلة الأولى على أن نتناقش مع الأهالى بصورة عامة فى مشكلات القرية وأحوالها . وقد تم ذلك فعلا فى الليلة التالية ، ودار النقاش حول مشكلة الرى فى القرية ، وكيفية الوصول إلى إيجاد مكتب للبريد ، وتكوين مركز اجتماعى مماثل لمركز القرية المجاورة ، وتوفير بعض الأدوية اللازمة للإسعافات الأولية .

وقد استمر الفريق فى مناقشة هذه الموضوعات مع القرويين أثناء السهرة، وتم وضع صندوق للإسعاف فى مكان الاجتماع ، تبرع بالصندوق بعض الأهالى ، كما ساهم المركز فى تقديم الأدوية اللازمة . أما فيما يتعلق بالموضوعات الأخرى ، فقد قام بعض المبعوثين بدراسة مشكلة الرى على الطبيعة فى القرية حتى أموا بتفاصيل الموضوع وموقع التربة وطبيعة الأراضى التى يصعب رىها . وبعد ذلك ذهب اثنان من المبعوثين مع بعض الأهالى إلى مهندس الرى وعرضوا عليه القضية . وتبين أن هذه المشكلة لها ثلاثة جوانب : أولها أن عدم تطهير المساقى من بين الأسباب التى تؤدى إلى قيام هذه المشكلة ، وثانيها أن كثيراً من الأهالى لا يتبعون تعليمات وزارة الزراعة بعدم طفى الشراقى (فن عادة المزارعين أن يرووا الأرض بعد جمع محصول القمح ، وهذا يستهلك كمية كبيرة من المياه تعطل رى المزروعات الأخرى كالقطن والذرة مثلاً) ، وثالثها أنه ربما كان هناك إهمال من عامل الرى المكلف بالإشراف على فتح « سخارة المياه » . وبعد أن شرح لهم المهندس هذه المسألة تعهد ممثلو الأهالى بالعمل على تدارك الأمر من جانبهم ، كما وعد المهندس بالإشراف على عملية توزيع المياه . وقد قام الأهالى بالاشتراك مع المبعوثين بالدعوة لتطهير المساقى كل أمام حقله ، وكررت هذه الدعوة للفلاحين فى خطبة الجمعة التى أشير فيها إلى هذا الموضوع ، كما أشرف بعض الأهالى على حث الناس على تطهير المساقى ، كما امتنع الكثير منهم عن طفى الشراقى ، وبذلك حلت مشكلة الرى وتوفر الماء للأراضى التى كان يصعب رىها من قبل فى مثل هذا الموسم .

وهكذا استمرت هذه السهرات خلال شهر رمضان، اللهم إلا فى ليلة واحدة توفى فيها أحد رجال القرية حيث اضطررنا لأداء واجب العزاء ، وأوقفنا برنامج السهرة . كذلك اتفقنا فى هذه المدة على تبادل الزيارات ، فكنا نقوم

من مكان الاجتماع لزيارة بعض القرويين والمدرسين في بيوتهم ، وكان بعضنا ينتقل أسبوعياً من ناحية إلى أخرى لمثل هذه الزيارات . وقد حرصنا على هذه الفكرة حتى نشعر الناس أن مهمتنا تتصل بمختلف النواحي ولا تقتصر على جماعة معينة .

هذه بعض النقاط الهامة في عملنا الميداني في مرحلة التعرف لإحدى القرى ، وقد واجهتنا صعوبات مختلفة في هذه المرحلة استرعت اهتمامنا ويمكن تلخيصها فيما يلي :

أولاً : محاصرة بعض القرويين لنا وإصرارهم على توجيهنا إلى مشاكل القرية بصورة خاصة . وقد تمكنا من فك هذا الحصار بانتشارنا في القرية وفي الحقل وفي السوق ، وإشعارهم في نفس الوقت بأننا في حاجة إليهم ، وتوكيل أحد المبعوثين بالاتصال بهم والتحدث إليهم ، وقد أكدت في فصل سابق ضرورة اقتراض وجود حزازات وعصبيات في صور مختلفة في القرية ، وأن العامل في الإصلاح الاجتماعي لا ينبغي أن يكتفى بمن يقبل نحوه أول الأمر ، وأن يعتبرهم ممثلين للقرية ، فإذا سبقت طائفة من الناس إلى التعرف بالإخصائي فإن الطائفة الأخرى تبتعد عنه ابتعاداً متعمداً أو غير متعمد لأن الطائفة الأولى متصلة به . ومن هنا جاءت الضرورة لأن يسعى الإخصائي لمقابلة الفريق الآخر والاتصال به .

ثانياً : سرعان ما يتبين لنا أن توضيح أهدافنا وطريقة عملنا تحتاج إلى استمرار في بيانها وتحديدها في المواقف العملية ، وأنه في موقف ما يمكننا أن نعمل كذا ، وعليكم أن تعملوا كذا ، أو أن كل ما يمكن أن نقدمه هو كذا ولا بد من تأكيد ذلك بكل صراحة ، وإن مرة واحدة أو مرتين لا تكفي ، وعلينا أن نلتزم الصبر والمثابرة في ذلك دون الملل من التكرار . وربما ينطبق هذا المبدأ على الدعوة لأية فكرة إذ أنها تحتاج إلى التكرار والإعادة في صور مختلفة وفي أوقات متعددة .

ثالثاً : استمرار الشك في نوايا المصلحين مدة ليست بالقصيرة ، وتوقع إثارة هذا الشك بين الحين والآخر ؛ ففي إحدى القرى اعتقد أحد الجزائريين أن بعض المبعوثين يقوم بحملة تفتيشية ، فأخفى اللحم بمجرد اقترابهم منه ،

وفي قرية ثانية زار مبعوث طاحونة مهجورة ، فانبرت له سيدة عجوز يظهر أن بينها وبين جارتها سوء تفاهم ، وبدأت تصرخ وتحتج على جاراتها بأنهن يلقين القاذورات في الطاحونة معتقدة أنه من موظفي الصحة . وفي زيارة لبعض الآنسات للمنازل قابلتهن إحدى النساء بالقبل والتحيات ، وبعد قليل سألتهن « بتفتشوا على إيه يا عرايس ؟ » ولاشك أن تنمية العلاقات وتوطيد الصلات مع الزمن سوف يزيل هذه الشكوك ، ولكنها من الأمور التي قد تشبث همة العاملين في أول الأمر ، وربما انصرف الناس عن التعاون مع المصلح إذا لم تواجه منذ البداية ، وربما كان من الأجدي أن يفتن المصلح إلى مثل هذه الشائعات ، وأن يعلنها للناس مفنداً لها ومناقشاً معهم مدى صحتها ، لأن إهمالها في بعض الأحيان قد يؤدي إلى رسوخها نتيجة لعدم وضوح وجهة النظر الأخرى ، أو لرغبة بعض الناس في استغلال الموقف .

رابعاً : صادفتنا رغبة المبعوثين ورغبة القرويين أنفسهم في القيام بعمل إيجابي سريع بعد الأسبوع الثاني من دخولنا القرية ، وهذه رغبة صادقة ، ولكنه كما نعلم لا بد من التعرف ومن الدراسة والتصميم المحكم واتخاذ العدة للقيام بأى عمل قبل الشروع فيه . كما ظهرت في ذلك الوقت أيضاً علائم إحساس آخر لدى المبعوثين ، وهو إحساس يعرض لكل من يبدأ العمل في هذا الميدان إذ يتساءل : ماذا أستطيع أن أعمل ؟ ويمكن للمرء أن يبقى في قرية ما أشهراً وسنين ، دون أن يحس بأن في حياة القرويين أموراً يحتاجون فيها إلى نصيح وإرشاد وخدمة ، ولن يحدث ذلك إلا إذا فكر المرء بنفسه ، وذهب إلى الناس في مواضعهم ، واحتك بهم واحتكوا به ، وفي ذهنه أثناء ذلك كله بعض الأمور التي يحاول اختبارها أو مستمعاً لأموور قد لا تخطر له على بال . فشعار العامل في ميدان الخدمة هو أن يسعى إلى العمل ، ولا ينتظر من العمل أن يسعى إليه .

إنشاء مجلس القرية :

والصورة الثانية التي اخترتها من العمل الميداني هي ما صحتب تأسيس جمعية الإصلاح الريفي وهي إحدى المؤسسات الأهلية التي تقوم بالخدمة الاجتماعية

ضمن نطاق وزارة الشؤون الاجتماعية بمصر ؛ وتلقى جانباً كبيراً من مسئولية خدمة القرية على أهلها بتنظيمهم إلى لجان منتخبة ، ولا أريد أن أطيل في الأمور الإدارية الخاصة بتنظيم هذه الجمعية (*) وإنما أريد أن أبين هنا أنها جمعية تتألف حسب النظام الأساسى لللائحة التى وضعتها وزارة الشؤون الاجتماعية وتتكون ميزانيتها مما يجمعه الأهالى من اشتراكات سنوية ، إلى جانب ما تقدمه وزارة الشؤون من إعانة لمشروعات الجمعية . وهناك عدد من هذه الجمعيات فى مديرية المنوفية وفى غيرها من مديريات القطر ، وكل ما أود ذكره هنا هو بعض الخطوات الاجتماعية الخاصة بتأليف مثل هذه الجمعيات وما يعترضها كما مرت بنا فى خبرتنا فى المركز .

ولعل أول نقطة نبدأ بها هى النقطة الخاصة بالفائدة من إيجاد نوع من التنظيم فى القرية Community Organization أو إمكان العمل الفردى ، دون اللجوء إلى أى تنظيم من التنظيمات كتكوين مجلس للقرية ؛ ولا شك أن المصلح الاجتماعى محتاج إلى نوع من التنظيم يساعده فى مهمته ، ويكون عوناً له فى الدعوة والعمل والإرشاد ، ولذا كان تأسيس الجمعيات أو اللجان ضرورة من ضرورات العمل يتم فيها تداول الرأى ، واتخاذ القرارات ، وتعبئة القوى للتنفيذ وتدريب الأهالى للمساهمة الفعالة فى حكم أنفسهم . ولكن لا يجب أن يكون مجرد تأسيس جمعية أو تكوين لجنة غرضاً فى حد ذاته تنتهى الأمور بانتهائه ، بل يستمر دور الإخصائين الفنيين فى توجيه الناس وإرشادهم وتعويدهم على تحمل التبعات وعقد الاجتماعات وكتابة القرارات وهى لاشك مهمة تعليمية فى الصميم . بل ربما لجأ فى بعض الأحيان إلى توجيه الرأى العام فى القرية خارج الجمعية أو اللجان للوصول إلى تحقيق المصلحة العامة .

ومهما يكن فإن العمل فى مجتمع ما يتطلب تنظيم الجماعة نفسها تنظيماً يحدد المسئوليات ، ويعود الناس على العمل الجماعى ذى الهدف المحدد . ولا شك أن تطور المجتمعات البشرية نفسها يدل على انتقال المجتمعات من الدور الأولى

(*) من أراد الاستزادة فى طريقة تنظيم هذه الجمعيات وأهدافها فليرجع إلى : وزارة الشؤون الاجتماعية (مصلحة الفلاح) . لائحة النظام الأساسى لجمعيات المراكز الاجتماعية والإصلاح الريفي .

Primary حيث تغطي فيه العلاقات المباشرة الشخصية ، إلى الدور التنظيمي الذي يعتمد فيه على العلاقات الثانوية Secondary . ومن ثم كان على العامل في الميدان الاجتماعي مهمة تنظيم الجماعة التي يعمل فيها ، وربما احتاج هذا التنظيم إلى أسس جديدة تتعارض مع أسس التنظيمات التقليدية (*) .

اقتنع الفريق بضرورة إيجاد تنظيم اجتماعي للقرية ، ووجدنا في جمعية الإصلاح الريفي أداة صالحة يمكن اتخاذها لهذا الغرض ، وبدأنا في الدعوة لها . وكنا قد تفاهمنا تفاهماً شخصياً مع كثير من أهل القرية في هذا الشأن ، وانتزنا فرصة حفل سينمائي فتحدث رائد الفريق في هذا الموضوع ، كما تحدث أحد الإخصائيين الاجتماعيين . ثم وجهنا بعض الأسئلة إلى الأهالي في الميكرفون لنستوضح رأيهم ، ولنشعر الآخرين بأن قادة البلدة وغيرهم من الناس يرحبون بهذا التنظيم : فكنا نسأل : ما رأيك يا شيخ فلان - كما فهمت - في جمعية الإصلاح . . . ؛ وما رأيك يا حاج فلان في مشروع يوفر العلاج للمريض بتكاليف بسيطة ؛ وما رأيك يا أستاذ فلان في عمل يساعد على إنارة القرية ليلاً ، ويعين البلد على رش عنها ضد الآفات والندوة ، إلى غير ذلك من الأسئلة . . . وكذلك اتفقنا سلفاً على أسس جمع الاشتراكات في الجمعية ، بحيث تساهم فيها جميع عائلات القرية ، وأكبر عدد ممكن منها . وكان أعدل الاقتراحات الخاصة بالاشتراكات هي أن يؤخذ على القيراط من الأرض قرش واحد ، وأن يدفع الموظفون والمدرسون وغيرهم من أرباب المرتبات مبلغاً إضافياً فوق ما يجمع على ممتلكاتهم .

وتم اختيار لجنة مؤقته من مختلف النواحي لجمع الاشتراكات ، وسارت في أنحاء القرية بالاشتراك مع المبعوثين كل جماعة في ناحيتها ، وقد كان ذلك في اليوم التالي مباشرة للعرض السينمائي ، ولعل أوضح ما علق في أذهان الناس أن هذه الجمعية ستقدم لهم خدمة طبية ، وكان هذا من الأمور الهامة التي استغلها جامعو الاشتراكات أيضاً . وأذكر أن الإحراج كان وسيلة أخرى استعملت في جمع هذه الاشتراكات ، فكان أحد أعضاء اللجنة في بعض الأحيان يدخل البيت

Ogburn, William, F. & Nimkoff, Meyer. F., *A Handbook of Sociology*, (*)
London, Kegan Paul, 1947, pp. 176-178.

ويقول إننى لن أخرج من هذا البيت حتى أتسلم نصيبك فى الاشتراك ، بينما كان فريق آخر يقول للعضو ادفع وأنا أحاسبك فيما بعد ، كما أظهر بعضهم خوفه من ضياع هذه الأموال وعدم معرفة أوجه النشاط التى تنفق فيها (*) .

ومن الأمور التى عرضت علينا قبل جمع التبرعات وفى أثنائها أيضاً الاستعانة بسلطان العمدة الحكومى ، أو برجال الإدارة كمأمور المركز أو غيره ، لأن ذلك يسهل عملية تكوين الجمعية ويعجلها . وقد حاولنا أن نقنع اللجنة المؤقتة أن تكون هذه الجمعية مسألة اختيارية وأنه يجب أن نتعب قليلاً ، وألا نلجأ إلى رجال الإدارة فى مثل هذا الشأن ، وأخيراً اقتنعوا ، وسار المكلفون من رجال القرية مع المبعوثين حتى تمت العملية وجمع من الاشتراكات فى أسبوعين متلاحقين دون انقطاع ١٦٠ جنياً ، وساهمت فى الاشتراك ٣٠٠ عائلة من ٤٠٠ عائلة فى القرية ، وهذه مساهمة لا بأس بها .

واجتمعت الجمعية العمومية للمشاركين ، وانتخبت مجلس الإدارة من نواحى القرية المختلفة ، وتكونت لجان الصحة ، والاقتصاد والزراعة ، والثقافة والرياضة ، والمصالحات ، والبر والإحسان . وناقشت مع المبعوثين والإخصائى الاجتماعى ما يمكن أن تتولاه من نشاط .

واستغرق إيداع المال فى البنك وإقرار الإعانة الحكومية وقتاً ليس بالقصير ، فمرت فيه المهمة وبدأ الناس يتساءلون عما حدث . وهنا أود أن أشير إلى ضرورة إفهام المسؤولين من رجال مثل هذه الجمعية إفهاماً واضحاً المسائل والإجراءات القانونية والفنية المتعلقة بعمليات صرف المال ، مما يخفى على القرويين أو مما يتهاونون فى تحقيقه ، أو مما يشبط همهم حين يطول أمره . وأعلم أن كثيراً من الجمعيات التعاونية أيضاً قد تعطلت بسبب عدم التوجيه الذى أشرت إليه ، ولسبب جهل رجال الجمعية بقوانين التعاون ، وعدم معرفتهم لطرق ملء الاستمارات مما يدعوهم إلى تكرار الزيارات لبنك التسليف حتى تستوفى الإجراءات . هذا فضلاً عما هو معروف من طول البال فى الروتين الحكومى . وربما كان من المفيد

(*) أحب أن أضيف هنا أن الضرورة لا تقتضى إعلان البرنامج للقرية فحسب كما أشرت فى الفصل السابق بل إعلان أنواع النشاط وميزانية الجمعية وحسابها الختامى فى نهاية العام . إذ أنه غالباً ما تختفى الجمعية وظروفها وأعمالها عن مسامع الناس وأنظارهم بعد تكوينها بقليل .

في هذا الميدان أن تكتب الجهات الرسمية المسئولة نشرات مبسطة تشرح فيها مهمة الجمعية وطريقة عملها ، وبمن تتصل من الهيئات الحكومية ، وكيف تتصل ، وماذا يطلب منها ، والوقت الذي تتطلبه تكملة الإجراءات من الناحية الحكومية . فمثل هذه النشرات المبسطة تجعل قارئها من رجال الجمعيات على بصيرة مما ينتظر منهم وما ينتظرون .

نعود إلى جمعيتنا التي تمت إجراءاتها وبدأت العمل بمناقشة خطة التنفيذ للمشروعات ، وسرعان ما بدأ التنافس بين اللجان . لماذا تأخذ لجنة الزراعة ميزانية أكثر من لجنة الثقافة ؟ وقد ارتبطت مشروعات اللجان كلها بعقبة تأسيس العيادة الطبية . وقد كان إحساس أعضاء اللجان أنه لا يمكن أن يشعر أهل القرية بأن الجمعية تقوم بشيء جدي قبل أن يتم إنشاء العيادة ، ويتم تأثيثها وشراء الأدوية والتعاقد مع الطبيب . وقد تبرع بعض الحيرين بأماكن لمرافق الجمعية من عيادة وناد ومكتبة . وكان كل متبرع يلح في أن يجعل المكان الذي تبرع به مكاناً للعيادة ، وأخيراً اتفقنا على أن نجعل هذه التبرعات بالأماكن غير مخصصة لغرض معين ، وأن تقوم لجنة بمعاينتها وتخصيصها حسب صلاحيتها . عقدت لجنة تحكيم لهذا الغرض ، عاينت الأماكن المختلفة وأشارت باستخدامها فما تصلح له ، ولكن رغم اتفاق المتبرعين على قبول رأى لجنة التحكيم ، ورغم أنهم وافقوا عند مواجهتهم إلا أن الاثنين اللذين لم يختار مكانهما للعيادة تدمرا ، ولم يكونا راضيين ، فكان لابد من الاتصال بهما شخصياً مرة أخرى وشكرهما وإقناعهما بأن المكتبة أو النادي يؤديان خدمة جليلة للقرية أيضاً . وليست هذه حالة فريدة في إظهار موافقة القرويين على أمر من الأمور ثم إعلان عدم موافقتهم بعد أن ينفض مجلس الجماعة ، إذ يبدأون في تغيير رأيهم مرة أخرى . ولهذا كان لزاماً على المشتغل بخدمة الجماعة أن يفتن إلى هذا ، وأن يعالج ما قد يطرأ من تغيير في الآراء معالجة شخصية بعد انفضاض الاجتماع ؛ وهذا يرتبط بما سلفت الإشارة إليه من الفرق بين الاتفاق الجدي الملزم وبين الاتفاق الذي يحدث في بعض الاجتماعات حين يتم الاتفاق الظاهري بين الفريقين « لمجرد فض المجلس » ، أو مراعاة للخواطر .

ولنعرض هنا لبعض أنواع النشاط التي كانت تمارسه جمعية الإصلاح الريفي في هذه القرية التي كانت تخلو من الخدمات الاجتماعية أو الصحية أو الزراعية . ولتبدأ بالعيادة البشرية التي كان يتردد عليها الطبيب ثلاث أمسيات في الأسبوع ، ويذهب إليه المرضى للكشف عليهم في نظير ثلاثة قروش ، يذهب منها قرشان للطبيب وقرش لإيرادات الجمعية ، وتصرف بعض أنواع الأدوية للفقراء مجاناً وفي نظير خمسة قروش للقادرين ، أما الأدوية التي لا توجد في العيادة فيشتريها المريض من الخارج . وقد خصص لكل مريض بطاقة يملؤها بنفسه أو يملؤها « التمرجي » (*) الذي يعمل حلاقاً للقرية أيضاً . وقد عرضت على طبيب العيادة منذ افتتاحها في شهر أبريل ١٩٥٤ حتى ديسمبر من نفس السنة ٦٧٣ حالة من الرجال والنساء والأطفال . والأمراض الغالبة في هذه الحالات حسب ما هو مدون في سجلات العيادة هي المغص الكلوي ، والبلهارسيا البولية ، والتزلات المعوية والتزلات الشعبية ، والأنيميا .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه العيادة التي تتكون من غرفة وصالة للانتظار وأساس مبسط مكون من منضدة للكشف ودولاب للأدوية وكرسين وأدوات الطبيب وسلّة للمهمات ، بلغت نفقاتها التأسيسية حوالى مائة جنيه . ومن بين مشروعات الجمعية أيضاً إنشاء عيادة بيطرية ، وقد تبرع أحد الأهالي بغرفة في بيته لحفظ الأدوية والسجلات بها ، وقد خصص الطبيب البيطري ساعتين في يوم من أيام الأسبوع لزيارة القرية والكشف على المواشى في هذا المقر ، وقد اتفقت الجمعية على أن يدفع المنتفعون بالعيادة عشرة قروش سنوياً في نظير معالجة الماشية . ولكن تبين بالتجربة أن الدفع عن كل مرة خير من الاشتراك السنوى ، ولذا تقرر أن يدفع الفرد قرشاً واحداً في كل مرة يعرض فيها بهائمته .

وقد عرضت على الطبيب في مدة ثمانية أشهر ١٠٧ حالة من بقر وجاموس وحمير وجمال . ولعل أكثر الأمراض الحيوانية شيوعاً هي التهاب الضرع ، والنفاخ إلى جانب الجروح والتسلخات . أما عن التهاب الضرع فإنه ينشأ في

(*) إن في تشغيل حلاق القرية تمرجياً أمراً مقبولا لدى الناس لأن كلا من الرجال والنساء يألّفونه ولا يجدون حرجاً في معاملته .

العادة عن جرح أو تسلخ في ضرع الماشية يؤدي إلى التهاب فيه ، كما ينتج أيضاً عن وساخة يد الحلاب أو يد الحلابة وعدم غسلها قبل عملية الحلب ، مما يؤدي إلى انقطاع اللبن أو قلته ، وقد تنقص كمية اللبن فجأة في بعض الحالات من عشرين رطلاً إلى أربعة أو خمسة أرطال . وفي هذا المرض مثل يمكن الاستفادة منه في حث القرويين على غسل أيديهم ، لا لمصلحة الإنسان فحسب ، بل لمصلحة الحيوان أيضاً الذي يستفيدون منه عملاً وغذاءً . أما نفاخ الماشية فإنه يصيبها نتيجة لأكل البرسيم الذي يكون مبللاً بالندى ، أو على أثر الانتقال من عليقة جافة إلى عليقة خضراء انتقالاً مفاجئاً ، أو بسبب شرب الماشية بعد الأكل مباشرة ، إذ الواجب أن تشرب بعد الأكل بساعتين أو قبله بساعة .

كذلك قام الطبيب البيطرى بحقن ماشية القرية لأول مرة بلقاح ضد التسمم الدموى الذى ينتشر في مصر بعد مدة الفيضان ، ومن أهم أعراضه تورم في حلق الماشية مما يؤدي إلى أن يضيق تنفسها وتحدث أصواتاً كالشخير وقد يؤدي هذا المرض إلى موت الماشية في ٢٤ ساعة .

وقد عمدت إلى هذا الاستطراد في ذكر هذه الأمراض توجيهاً للنظر إلى بعض المشكلات الكبرى في حياة الفلاح ومعاشه ، ومثل هذه الأمور في الواقع هي التي تستحق الدراسة والتوجيه بتفهم الفلاح أسبابها ونتائجها وخطورتها ، وهي المسائل التي تهتم في حياته اليومية . وإذا لم يتجه الإرشاد أو الخدمة إلى هذه المشكلات الحقيقية المباشرة أو لغيرها من المسائل المتصلة بالمحافظة على مواعيد الزراعة ، أو طريقة تخطيط الأرض ، أو تطهير الترع والمساقى السنوية ، وإذا لم يستغل مثل هذه الأمور في عمل المصنقات والكتيبات والأفلام الثابتة للريفيين ، فإن حديثنا عن تحسين مستوى الحياة يكون حديثاً في الهواء ، ولا طائل من ورائه . وإذا اتصلت هذه المصنقات بأمور حياتهم التي تعنيهم وتشغل بالهم ، تغيرت نظرة الناس إليها ؛ فكثير من مصلقات وزارة الصحة مثلاً يعتبرها الفلاحون رسوماً ملونة يزينون بها بيوتهم ؛ بل إن هذا الاعتبار قد يسرى أيضاً على نفس المؤسسات الاجتماعية والحكومية التي تعرض مثل هذه المصنقات بطريقة

يبدو أن الهدف منها هو تجميل المكان، وليس استخدامها كوسيلة تعليمية (*).
 وقامت الجمعية بإصلاح الطريقين الرئيسيين للقرية . وكان الدافع لتسوية
 الطريق الأول زيارة جماعة من كبار القوم لهذه القرية ، فاهتم أهلها بهذا المشروع
 حتى يتيسر للزوار الدخول إلى القرية عن هذا الطريق . وقد كان التفكير في
 تسوية هذا الطريق تفكيراً قديماً ، إلا أنه لم يتحقق إلا بعد تكوين الجمعية ، وقد
 عجل مجيء الزوار بهذه التسوية . أما المدخل الثاني فقد تولاه أهل الناحية بأنفسهم
 بعد أن رأوا ما تم في الناحية الأخرى . وقد اشترك الأهالي فيه بالعمل بأنفسهم
 وبحميرهم وجمالهم ، فمنهم من كان يحضر البوص أو الغاب أو القش ، ومنهم من
 يحمل التراب ، وكان هذا دور الفتيان والشبان ، ومنهم من كان يقوم بعملية
 التسوية . وقد تعلمنا من ردم الطريق أو تسوية الساحة الشعبية أمرين : أولهما
 قيمة التراب لدى الفلاح ، فليس من السهل أن تفكر في نقل التراب من الحقل
 إلى الطريق أو إلى الساحة أو إلى البركة فالتراب أو « الرتش » كما يعرف لدى
 فلاحي الوجه البحري شيء عزيز ، ولا يمكن استعمال أتربة في الردم أو التسوية
 إلا إذا كانت مما يؤخذ من جوف الترع أو المساقى بعد تطهيرها ، وهو التراب
 الذي استعمل فعلاً في تسوية الطريق . كذلك كان من أشق الأمور في تسوية
 الساحة الحصول على ماشية تجر « القصايب » لنقل التراب من المكان العالي إلى
 المكان المنخفض ، ولم يتحقق لنا ذلك إلا بعد جهد ، وبعد أن سويت الأرض
 تسوية مبدئية بحيث لا تكون مرهقة للحيوان .

والدرس الثاني هو أن العامل في ميدان التربية الأساسية لا بد له من الاستعانة
 بالقرويين أنفسهم ، فهم أقدر على إقناع بعضهم بأساليبهم ومنطقهم . ففي
 أثناء تسوية الطريق اعترض رجل يمتلك قطعة صغيرة من الأرض مزروعة بالغاب
 على تسوية جزء من الطريق لأنه سيزيل كمية يمتلكها من الغاب ، وقد كانت
 كمية قليلة جداً ، وربما كان يفكر في تعويض مادي عنها ، ولكنه اقتنع حينما
 انبرى له أحد القرويين بقوله إن هذا الطريق في مصلحة الجميع ، ووجه إليه

(*) توضع هذه الملصقات في بعض المؤسسات الحكومية في أماكن معينة ، في مكاتب الموظفين
 مثلاً - لا حيث يطلع عليها الجمهور ، وفي كثير من الأحيان توضع إعلانات مختلفة لموضوعات متنوعة
 في وقت واحد ، وقلما تتغير أو تستغل كوسيلة للإيضاح والدعوة .

الحديث ، وكان رجلاً مسنناً « فكر يا شيخ فلان في أنه عند موتك سوف يتمكن الناس من أن يفلدوا إلى المآتم من القرية ، ومن القرى المجاورة بكل سهولة . وفي هذا إعزاز لك في ممالكك أيضاً » فاقتنع الرجل وانصرف .
والخلاصة أن تأسيس جمعية الإصلاح الريفي ، أو إنشاء مجلس لإدارة القرية من أهلها ، مع التوجيه الفني من الوسائل الفعالة في خدمة الريف والنهوض به . ومساهمة القرويين في العمل أداة هامة من أدوات تعليمهم وغرس أسس الحياة الديمقراطية وإرسائها على دعائم سليمة .

تنشيط الجمعية التعاونية :

تأسست هذه الجمعية في عام ١٩٤٨ واقتصرت نشاطها على مسائل التموين والكسب والقماش حتى عام ١٩٥٣ ؛ حينما ذهب مبعوثو المركز وجدوا فرقة بين أعضاء الجمعية ، مما أدى إلى خلافات وصلت إلى المحكمة ؛ ولذلك لم يقيم المبعوثون بأى مجهود في ذلك العام لبحث حالة تلك الجمعية أو تنشيطها ، لأنه كان أول عام لذهابهم إلى تلك القرية ؛ ولم يكن من الكياسة في شيء أن يصدموهم منذ البداية بمشكلة شائكة كهذا الخلاف فتجاهلوه مؤقتاً حتى يطمئن إليهم الناس ، وحتى يتمكنوا من معرفة عناصر الخلاف على حقيقتها .
ولم يجتمع مجلس أعضاء الجمعية زمناً طويلاً ، وكانت أموال الجمعية موزعة بين بعض الأعضاء الذين قاموا بمعاملات للجمعية ، ولم يردوا الأموال إلى أمين الصندوق ، وطالت المدة على ذلك ، وفقد بقية الأعضاء ثقتهم في الجمعية ، وكان كل واحد يسأل عن مالها الذي توزع نتيجة للمعاملات العائلية ، وتغلبت العواطف والصلات الشخصية على الرغبة في تيسير المصلحة العامة والمطالبة برد الأموال إلى الجمعية لتشغيلها . وبعد الوقوف على مختلف التفاصيل الخاصة بالجمعية ، جمع المبعوثون المختصون أعضاء مجلس الإدارة وتناقشوا معهم في تفاصيل الموقف ، وردوا أموال الجمعية إلى أمين الصندوق ، وتمت هذه المهمة بعد اجتماعات عدة واتصالات مختلفة فردية بالمسؤولين .
ونحب أن نؤكد هنا ما أكدده الدكتور عباس عمار من ضرورة الإشراف

والتوجيه الفني لهذه الجمعيات ، إذ أنه لا يمكن أن نترك الأهالي تركاً تاماً ، فإن فشل عدد من الجمعيات التعاونية في الريف إنما مرده في كثير من الحالات إلى أن هذه الجمعيات قد تركت إلى الأهالي - قبل أن يستعدوا لحمل مسؤولياتهم (*) . وانتظمت الاجتماعات ، وكان من وسائل انتظام الاجتماعات عدم انعقادها في مكان واحد ، وهو بيت رئيس الجمعية ، كما جرت العادة ، بل كانت تنتقل الاجتماعات إلى بيوت مختلف الأعضاء ، فكان هذا تغييراً فيه ربط للأعضاء الذين ينعقد الاجتماع في بيتهم على الحضور .

وبدأت الجمعية نشاطها الجديد بشراء السماد الكيماوى للقمح من بنك التسليف ، وقد كانت الجمعية منصرفة عن معاملة البنك في هذا الصدد لأن أعضاءها كانوا يعلمون أنه لا بد من شراء بذرة القمح مع السماد في الوقت الذى لم يكن المزارعون محتاجين فيه إلى التقاوى . ولكن البنك قد بين لهم إمكانية شراء السماد وحده ؛ واشترى السماد ووزع على خمسين من الأهالي . وقد كان ذلك من أول الأمور التى أعادت الثقة بالجمعية ورجالها . وقد نتج عن ذلك مباشرة أن انضم إلى الجمعية خمسة عشر مساهماً جديداً دون أية دعاية كلامية .

وفي الموسم التالى ، طلبت الجمعية بذرة القطن والكيماوى من بنك التسليف ؛ وقد عرض بعض المبعوثين على الأهالي إمكانية الحصول على سلف نقدية من البنك أيضاً يمكن استغلالها في مشروعات مفيدة ، كإنشاء منحل تعاونى بفائدة بسيطة . وكان عدد كبير من الناس راغباً في الحصول على خلايا نحل ، خصوصاً بعد أن نجحت الخلايا التى كان المركز قد ساهم في إنشائها بالقرية في العام السابق ، ولكنهم تشككوا في مسألة الفائدة ، وكتبوا يستفتون أحد رجال الدين في ذلك فأفتى بأن « كل قرض جرّ نفعاً فهو حرام » . وحاول المبعوث إقناعهم بأن هذا من نوع القرض الحسن ، وأن ما يأخذه البنك إنما يذهب في سبيل تكاليف المكاتب والموظفين وغير ذلك من النفقات ، حتى لا يخسر في رأس ماله ، وقد اقتنع بعض الأهالي بذلك ، وسجلوا أسماءهم للاشتراك في المنحل التعاونى

(*) الدكتور عباس عمار ؛ تنظيم القرية المصرية على أساس اللامركزية الإقليمية (سرس

ولقد حدث أنه عندما وصلت السلفة النقدية من البنك ، وبدأ المشرفون على المنحل التعاوني في جمع المال لشراء الخلايا رجع كثير من الفلاحين في كلامهم ، وآثروا أن يقبضوا الأموال نقداً ، ولا يضعوها تحت تصرف الجمعية لشراء خلايا لهم ، محتجين بأنهم في حاجة إلى الأموال لفك ضائقة مالية ، أو لزواج أبنائهم ، وأنهم فلاحون لا يعرفون شيئاً عن المنحل ولا يضمنون نتائجهم ، فبدأنا مع أحد الفلاحين الموجودين في ذلك الاجتماع بإقناعه بأن استثمار هذه السلفة في المنحل في هذا الموسم خير استثمار له ، وأن فلاناً من الناس قد حصل من خليته في العام الماضي على ٤٠ رطلاً من العسل ، غطت تقريباً تكاليف شرائها في العام الأول ، ودارت المناقشات والأخذ والإعطاء . وربما كان هذا التردد نتيجة عدم الإقناع الكافي أو الخبرة الكافية بمسائل المنحل أو إثارة بعضهم الحاجة العاجلة على الآجلة أو للحاجة إليه فعلاً في قضاء بعض المصالح الملحة ؛ وقد اشترك عدد كبير في المنحل وربما نتجت هذه الصعوبة عن عدم التهيئة الكافية للمشروع .

وقد تمكنت الجمعية فعلاً من شراء موتور لرش العنب ضد الآفات الحشرية وقد استعمل الناس من قبل الآلات اليدوية للرش ، ولكنها لم تؤد إلى النتيجة المطلوبة . ولما كان العنب من المحصولات الرئيسية في هذه القرية فقد اشترت الجمعية الماكينة بمبلغ ٩٠ جنيهاً ، وذلك بعد أن شاهد بعض أعضائها ما كينة مماثلة أخذهم المبعوث لمشاهدتها في قرية مجاورة ؛ ولما تبين لهم أن الرش ، عن طريق مثل هذه الآلة أقوى أثراً بسبب قوة الدفع في الرش ، فضلاً عن أنها أسرع إذ أنها ترش الفدان في ساعتين ونصف تقريباً ، قرروا شراءها . وتقوم الجمعية في الوقت الحاضر بمناقشة أحسن الوسائل لتأجير هذه الماكينة في القرية أولاً ، وفي القرى المجاورة إذا رغبت في تأجيرها .

الإرشاد والدعوة :

ويبدأ العمل الميداني في الإرشاد الزراعي ، حين توجد لدى المختصين في الشؤون الزراعية جملة من المعلومات والخدمات الفنية ، يريدون نقلها إلى الفلاح عن طريق الإرشاد ، وهو عملية تعليمية في صميمها أيضاً . وقد وجد المختصون في

الأمور الزراعية من المبعوثين والخبراء أن القرى التي يعمل فيها المركز تحتاج إلى خبرات جديدة وإرشاد في :

١ - مواعيد الزراعة - ٢ - التقاوى والبذور - ٣ - الأساليب الزراعية .
فالمشكلة الكبرى في زراعة القطن مثلاً في هذه المنطقة هي التأخر في زراعته ، إذ يبدأها الفلاحون في منتصف شهر مارس ، وذلك حتى يتمكنوا من أخذ حشتين من البرسيم ؛ وقد أدى هذا التأخير في الزراعة إلى قلة إنتاجية الفدان ، إذ بلغ متوسط محصول فدان القطن ثلاثة قناطر ونصف . هذا فضلاً عن زراعتهم القطن على خطوط متباعدة بحيث لا يزيد التخطيط عن تسعة أو عشرة خطوط في القصبتين . والأصول أن يبكر بالزراعة بحيث تبدأ في منتصف فبراير ، وأن تضيق الخطوط التي يزرع عليها القطن بحيث تصبح ١٢ أو ١٣ خطاً في القصبتين ، لأن ذلك يساعد على النمو الثمرى على حساب النمو الخضري .
أما زراعة القمح ، فإن عدد مرات الري ، وطريقة التسميد ، فضلاً عن التقاوى نفسها ، من الأسباب التي تؤدي إلى انخفاض إنتاجية الفدان . فإن القمح الذي يزرعونه هو من نوع الكازوريا ولا يروى إلا مرة أو مرتين على الأكثر إذ أنه لا يستطيع أن يقاوم الرقاد إذا روي مرة ثالثة وهبت عليه الرياح . وأراد الإخصائون الزراعيون بالمركز إدخال قمح جيزة ١٣٩ لأنه يعطي محصولاً أحسن ، ويستطيع أن يقاوم الرقاد إذا ما روي رية ثالثة أو رابعة لأنها تساعد على إعطاء محصول أوفر ، أضف إلى هذا أنه من الأفضل في تسميد القمح أن يخلط سماد السوبر فوسفات مع نترات الجير أو سلفات النشادر بنسبة ٥٠٪ لكل منها (*) .

أما في محصول الذرة فقد أرادوا إدخال زراعة الذرة الهجين والذرة الأمريكية أو زراعة الذرة البلدى على خطوط ، ولا شك أن الذرة الهجين أو الأمريكية يؤدي إلى زيادة وافرة في المحصول ، وكذلك فإن زراعة الذرة البلدى على خطوط

(*) انظر نشرات وزارة الزراعة للنواحي الفنية المختلفة مثل :

زراعة القمح . العجالة رقم ١٠٢ القاهرة ؛ المطبعة الأميرية ١٩٥٣ .

نتائج التجارب الزراعية . القاهرة ؛ مطابع مذكور ١٩٤٩ .

الصحيفة الزراعية الشهرية . المجلد ٢٣ ؛ العدد ٢ ؛ فبراير ١٩٥٤ .

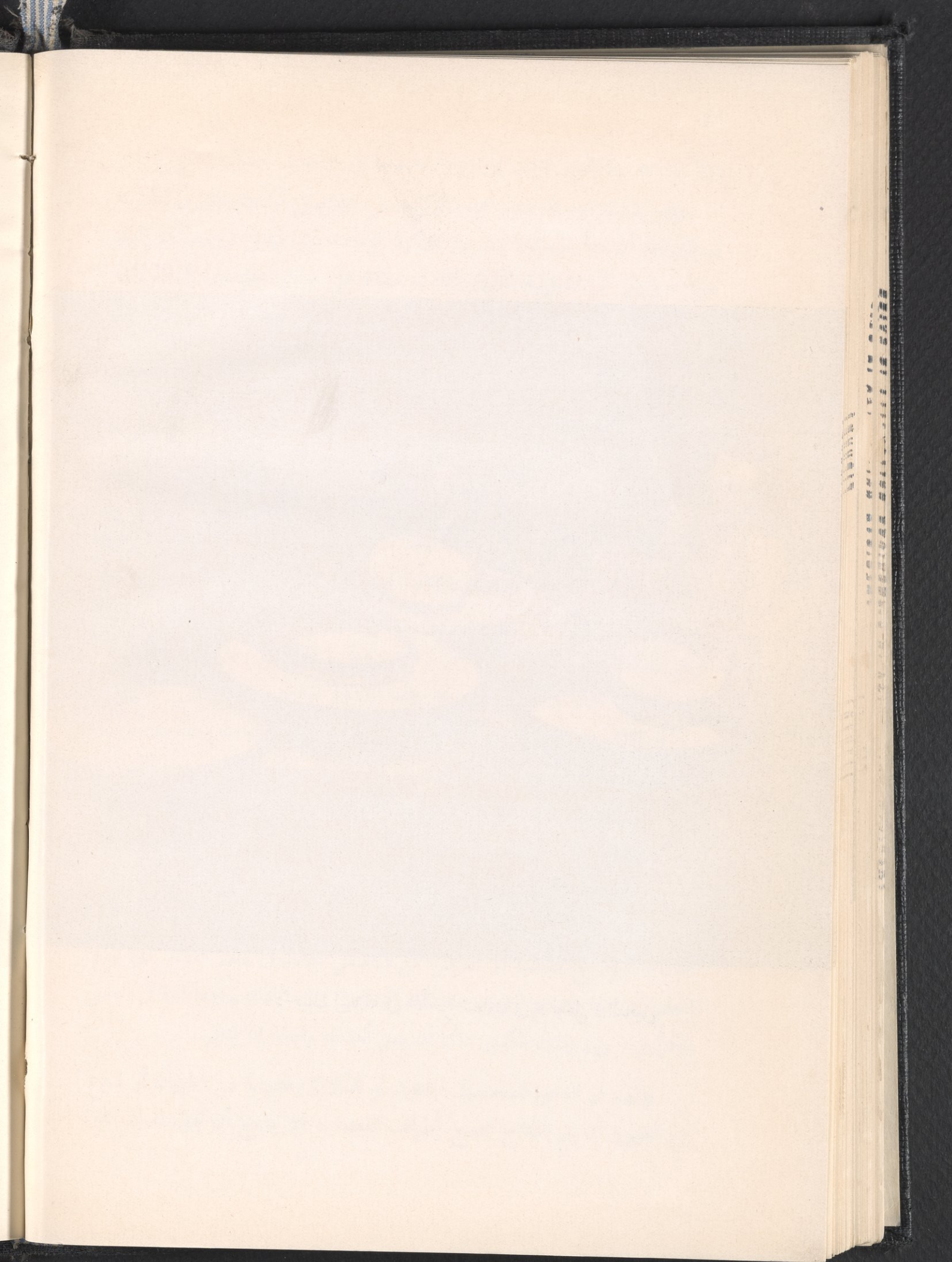
بدلاً من طريقة البذر تؤدي إلى زيادة محسوسة في المحصول أيضاً .

وقد كانت الوسيلة لنشر هذه الأنواع من المحاصيل أو هذه الطرق الحديثة في الزراعة أن بدأ المبعوثون ينشرون الفكرة الواحدة بين الناس ويتحدثون إليهم عنها ، ورغم أن المسئولية الأولى كانت ملقاة على عاتق المختصين في الزراعة والإرشاد الزراعي ، إلا أن جميع المبعوثين كانوا يشتركون في نشر الأفكار الجديدة في مناسبات مختلفة . وهذه طريقة فعالة في التوجيه والإرشاد يحسن اتباعها دائماً في حالة الأفكار الجديدة . فكلما جاءت الدعوة إلى فكرة جديدة عن مصادر متعددة أو أشخاص مختلفين كانت الفكرة أكثر تقبلاً وأقل مقاومة . وهذه ميزة من ميزات العمل الجماعي في فريق متكامل . فكان المرشد الصحي يتحدث في الوقت المناسب أثناء حفر المرحاض ، أو إعطاء دروس صحية عن زراعة الذرة على خطوط ، كما كانت دروس مكافحة الأمية تبدأ وتنتهي بالحديث عن هذا الموضوع أيضاً . ولعل التنسيق والتعاون بين مختلف الوزارات والاختصاصات يحقق هذا الغرض ، وهو ما تسعى إليه الوحدة المجمععة عن طريق مجلس إدارتها ، فرغم أن كلا من رجالها مسئول عن ناحية معينة ، إلا أنهم ينبغي أن يتعاونوا في نشر مختلف الأفكار ، أو تهيئة الظروف المناسبة لتنفيذ مشروع من المشاريع . ثم كان يتلو هذه الأحاديث العامة العابرة أو الفردية ندوات وحلقات منظمة للحديث عن طريقة الزراعة أو المحصول الجديد ؛ وكانت الأحاديث التمهيدية تبصر المبعوثين بما يمكن أن يدور حوله الحديث ، أو بما قد يسأل عنه المجتمعون من نقاط . ولعل خير وسيلة لهذه الندوات هو تقديم الموضوع إلى الفلاحين بصورة توضيحية ، يقترن فيها الكلام بالتماذج أو الصور أو العينات الحقيقية من الحبوب الجديدة ، وشرح الفائدة التي تعود من اتباع الطريقة الجديدة بصور عملية ، وتوضيح الفائدة أو الغرض من الأسس الهامة في تعليم الكبار أي نوع التعليم . وربما يستمتع الصغير بالنشاط التعليمي في حد ذاته واجداً لذة في العمل وتكراره ، بينما يحاول الكبير دائماً أن يعلم أهدافه والغاية مما يتعلم .

والمهم في الدعوة للمحصول الجديد أو لسلالة الجديدة من الحيوان أو لنوع من الطيور أن يلم الفلاح بجميع أطراف القصة ، فلا يصح أن أقول له إن الذرة



الأجيال الثلاثة في الأسرة تتعاون في « نخل » الدقيق



المهجين تعطى ٣٠٪ زيادة عن محصول الذرة العادية دون أنؤكد له أن ذلك يتطلب زراعتها بطريقة خاصة هي كذا وكذا ، وأن أى تغيير أو تعديل فى الطريقة قد يؤدى إلى نقص فى المحصول . فقد حدث أن زرع أحد الفلاحين الذرة المهجين ، ولكن تطويش الذرة أو توريقها أدى إلى قلة المحصول ، ولم يحدث أن نبه المرشد الزراعى إلى أهمية عدم التوريق فى النمو والإنتاج . وكان ذلك من الأسباب التى شككت المزارع فى كلام المرشد الزراعى .

والمرحلة الثانية فى الإرشاد الزراعى هى زراعة حقول إرشادية تكون نموذجاً لما يراد . وقد جرت العادة فى كثير من الحالات أن تتخذ حقول الإرشاد لدى الأغنياء ، وفى الوحدة الزراعية نفسها . ولكن الفلاح العادى يعزو نتائج الزراعة الجديدة إلى أن الحكومة أو المالك الكبير يستطيع الوصول إلى تلك النتائج بطريقة ليست فى مقدوره هو أن يقوم بها ، ولذا فإنها لا تنطبق عليه أو لا تحقق نفس النتائج لديه . ولذا فإن حقول الإرشاد التى قام بها المركز كانت تتجه دائماً إلى الزراعة لدى المتطوعين من الفلاحين العاديين الذين يقومون بالزراعة فى حقولهم تحت الإشراف والتوجيه .

ولعل من وسائل نشر نتائج مثل هذه الحقول الإرشادية أن يطلب إلى الفلاح الذى قام بعملية الزراعة كتابة بيان أو خطاب موجه إلى أهل القرية لإخبارهم بما زرع وبتنتائج ، ويمكن أن تكون الصور الفوتوستاتية لمثل هذا الخطاب أو البيان وسيلة فعالة لإقناع بقية المزارعين . وذلك ما يحدث فى بعض الإعلانات التجارية كإعلان الأسبرو وغيرها مما ينشر فى الصحف والمجلات .

ثم إن من المهم أيضاً أن تتكرر عملية الإرشاد عن طريق الندوات وعن طريق الحقول ، فلا تقتصر على سنة واحدة فقط ، فإن التكرار مهم فى تعليم الإنسان أيضاً ، وحتى لا تعزى النتائج إلى مجرد المصادفة ، كذلك يجب مقابلة جميع الاعتراضات التى يوجهها الفلاح . وأسرد على سبيل المثال ما ذكره أحد المبعوثين من اعتراض أحد الفلاحين على غلظ قولحة الذرة المهجين عن الذرة البلدى . ولمواجهة هذه الصعوبة طلب المبعوث من الفلاح أن يختار أكبر كوز من الذرة المهجين ومثيله من الذرة البلدى ، وقاما بوزن الكوزين فكان وزن الكوز المهجين

١٨ أوقية والبلدى ١٠ أوقيات ، ثم وزنا القولحة بعد تفريط الحب فكان وزن قولحة الهجين ٣ أوقيات والبلدى ٢,٥ أوقية . وهكذا اقتنع الفلاح أن النتيجة النهائية في جانب الهجين دون شك . وقد تحتاج هذه العملية إلى مواجهة الاعتراضات المنزلية أيضاً ، كقطع الخبز أو وجود عرق في العجينة أو غير ذلك مما تستطيع المرشدة الاجتماعية أن تتولاه . والمعروف أن الإنسان إذا أخذ يغير عادة قديمة بعادة جديدة ، فإنه يمر في مرحلة انتقال للتكيف الجديد ، وفي خلال هذه المرحلة يبدى بين الحين والآخر بعض الاعتراض أو التبرم بما يقبل عليه ، وبعض الحسرة أو الندم على ما ترك أو هجر . ومهمة المرشد الزراعى أو الاجتماعى أو الصحى أن يخفف من غلواء هذا التبرم أو السخط حتى يعجل من النتائج المنشودة .

وإذا كان من مناهج العمل الميدانى أن يقوم العاملون بتجارب في نطاق ضيق للتحقق من النتائج ، فإنه من المهم أيضاً أن يلبجأوا إلى عمالية التعميم والتوسع ، معبئين جميع القوى لنشر إصلاح معين أو دعوة خاصة . فتعميم الشيء الجديد سند له في الاستمرار إذ يحوز موافقة الجماعة ، ويحقق عنصر التساوى بين أفرادها ولا يدع مجالاً لاتهم البعض بالخروج عن العرف ، وهو دافع من الدوافع الاجتماعية القوية .

ومن أمثلة ذلك التعميم ما تقوم به إحدى فرق المركز من تعميم مرحاض روكتفلر في قرية من القرى ؛ إذ بدأ المبعوثون بمعونة بعض القرويين بالمرور على جميع البيوت لمعرفة البيوت التى ليست بها مراحيض ، وتسجيل أسماء أصحابها . وقد تم الاتفاق فعلاً بين جمعية الإصلاح الريفى والمركز على المساهمة في إنشاء المراحيض في تلك البيوت بحيث يكون هناك مرحاض في كل بيت من بيوت تلك القرية في نهاية هذا العام . ويقوم أهل البيت أنفسهم بعمل الحفرة وتساهم الهيئات السابقة المتعاونة مع صاحب البيت في تكاليف البلاطة التى توضع فوق الحفرة . ومهما قيل في صلاحية مرحاض روكتفلر ، فإن المهم في هذه المحاولة هو إيجاد المرحاض والدعوة إلى استعماله حتى تتكون العادة التى تعتبر العلاج الرئيسى لمقاومة البلهارسيا ، أكبر الأدوية التى تصيب الريفى المصرى .

ومن وسائل الإصلاح أيضاً اللجوء إلى إحداث تغيير واضح للعيان ، يهدف إلى رفع الروح المعنوية ، وتوليد إحساس جديد بحياة جديدة . ومن أمثلة تلك الوسائل إنارة القرية ليلاً ، وما يقوم به أحد خبراء المركز ومبعوثوه بالاتفاق مع الجمعية التعاونية على تبييض بيوت القرية بالجير ؛ وفي هذا المشروع يقوم أهالي الناحية بطلاسة بيوتهم من الخارج والداخل وتقوم الجمعية والمركز بالمساهمة في تبييض ما يعادل غرفتين في البيت من الداخل والخارج أيضاً . وقد لقي هذا المشروع حماساً زائداً من الأهالي ، وبدأت الشوارع تتنافس على أيها يبدأ بالبياض . ووجد أنه من الأفضل أن يتم تبييض شارع بأكمله حتى يظهر الأثر خصوصاً وأنه أوفر في تكاليفه ونفقاته من تبييض بيوت متناثرة في جهات مختلفة ، وقد اشتركت النساء فعلاً في طلاسة البيوت دون دعاية كبيرة فإن الناحية المظهرية في هذا المشروع دفعت الناس إليه بصورة واضحة .

تدريب القادة المحليين والعمل معهم :

من أهم وسائل العمل الميداني تدريب القادة المحليين للمشاة ركة في الخدمات الاجتماعية وما يتطلبه من إقناع وتوجيه ؛ وقد كان من أهم ألوان النشاط في العمل بالقرى إثارة الوعي لدى القادة للاهتمام بشئون قريتهم ، وتحمل المسؤوليات ومعرفة الجهات الحكومية التي يتصلون بها . وأكبر مشكلة صادفت مبعوثي المركز ، وتصادف كل مشتغل مع القادة الريفيين ، هي مسألة الحزازات والعصبية ، وتظهر هذه أكثر ما تظهر في الانتخابات وفي اجتماعات اللجان - ذلك أن الوضع الطبيعي في القرية لا يدعو في كثير من الأحيان إلى أن يجتمع القادة المتنافسون وجهاً لوجه ، وإنما يدبرون أمورهم ويقومون بأدوارهم في مجالات عصبية ، وتصل القرية إلى توازنها الاجتماعي عن طريق تفادي الاحتكاك أو المقابلة المباشرة للعناصر المتنافسة . ومن ثم كانت قيمة الطرف الثالث الذي يلعب دور الوسيط في القرية غاية في الأهمية لإحداث هذا التوازن واستمراره ، ولا تخلو قرية من القرى من قادة من الطرف الثالث يقومون بهذا الدور ؛ وقد لاحظنا أن اجتماعات اللجان والجمعيات إن هي إلا مواقف يواجه القادة المتنافسون

فيها بعضهم البعض ، ومعنى هذا أننا نوجد مواقف نهبيء فيها تقابل الطرفين وجهاً لوجه مما يثير الاحتكاك ويزيد من حدة التنافس . ومن ثم كانت أهمية اختيار قادة من الوسطاء في هذه اللجان ، وأهمية دور الإخصائيين ، لا كفننيين فحسب بل للقيام بدور التوفيق وتوحيد الكلمة والجهد للعمل ، أو لتوجيه طاقة التنافس إلى وجهة خارجية عن أنفسهم وعن قريتهم ، كمحاولة التنافس مع قرية أخرى لها نشاط جدير بالتقليد والاحتذاء .

ولا أريد أن نناقش هنا بالتفصيل الوسائل المختلفة لتدريب القادة من زيارات واستصحاب لهم أثناء العمل ، أو عقد ندوات أو إرسال خطابات دورية لهم ، أو بأخذهم لزيارة المؤسسات الاجتماعية ، إلى غير ذلك (*) .

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن من الوسائل الفعالة في تدريب القادة المحليين هو إبعادهم لفترة معينة عن بيئتهم إلى بيئة أخرى لهذا الغرض . وهي الطريقة التي التي اصطلح المشتغلون بدراسة ديناميكية الجماعات على تسميتها باسم (away-from-home situations) .

وقد يكون هذا الإبعاد في صورة معسكر ، أو بعقد حلقات للدراسة والمناقشة في مكان بعيد عن القرية ، أو بأخذ القرويين إلى قرية أخرى ، أو زيارات في مدينة مجاورة . ففي مثل هذه المواقف التي يبتعد فيها الإنسان عن جذوره الارتباطية المباشرة بحياته وطريق معاشه ، يكون أكثر استعداداً في أغلب الأحيان لتقبل الحديد من الأفكار والخطوات . بيد أنه من المهم أيضاً أن تكون من وظائف الموقف الحديد ربطه بالمواقف والحقائق الواقعية في القرية . وقد اتضح قيمة هذه الوسيلة في تأثير المعسكر الذي أقامه المركز لقادة القرى التي يعمل فيها مبعوثوه ؛ فقد غلوا إثر عودتهم من هذا المعسكر أكثر تقبلاً للمساهمة الفعالة في نشاط المبعوثين ، وأشد اهتماماً ببلجانهم وتنظيماتهم ومشروعاتهم التي بدأت في القرى ؛ ويلجأ المركز إلى مثل هذا التكتيك في ظروف أخرى كعقد حلقات دراسية في مقره لمدرسي المدارس الابتدائية في موضوعات التعليم الصحي

(*) انظر رسالة عبد الموجود بدوي ؛ القيادة المحلية بقرية مصرية ؛ مقدمة لدبلوم الخدمة

بالمدارس ، أو لأعضاء الجمعيات التعاونية لتوضيح مسئولياتهم وتدريبهم على مسلك الدفاتر .

وليس معنى هذا أن الإبعاد هو الطريقة الوحيدة ، بل إن الطريقة الفضلى هى مواجهة عملية التدريب فى المواقف الطبيعية ، حيث يشترك المرشد مع القادة اشتراكاً عملياً فى الموقف ، وحيث يقوم الأول بدور الملاحظة والتوجيه معاً ، ويتابع المواقف المختلفة مرشداً وموجهاً ومشتركاً فى نفس الوقت ، إذ أن الاشتراك الإيجابى من أقوى الأمثلة على ما ينبغى أن يحتذى ، كأن يشترك الإخصائى بنفسه مع القادة ويرافقهم فى جمع التبرعات ، أو فى تنظيم الاجتماعات أو فى الذهاب إلى الجهة الحكومية ، أو فى المسائل الفنية التى تحتاج إلى تعليم خاص . والمهم فى كل ذلك أن يبرز المرشد للقادة المبادئ العامة فى جملة المواقف التى يتعامل معهم فيها ، وأن يلخص لهم ذلك بطريقة مجدية بسيطة ، وفى حالة المناقشة الكبيرة حول موضوع من الموضوعات ينبغى أن يوجه نظر القادة إلى أنه من الأفيد أن لا نشطح كثيراً عن الموضوعات ، وأن نلخص دائماً ما تم الاتفاق عليه ، وما لم يتم عليه الاتفاق ، وما يتصل بذلك من تحديد المسئوليات وتوزيعها على الأشخاص ، وفى مثل هذه الحالة يشعر الناس بما أنتجوه ، وبما وصلوا إليه ، وليست المسألة مجرد كلام لا طائل من ورائه .

وهناك نقطة تتصل بمنهج العمل مع القادة مرتبطة بتصورنا لدور القيادة ذاته . فالقيادة كما يعرفها علماء الاجتماع عملية ترتبط بالموقف ، وليست صفات محددة أو قيادة عامة ، والقائد هو قائد الموقف حسب الظروف التى يكون القائد فيها قد عين نفسه أو عينته الجماعة نظراً لسرعته ودقته فى فهم الموقف المحدد والاستجابة له . فربما يكون المرء قائداً فى موقف ، ولا يصلح للقيام بهذا الدور فى موقف آخر . ومن هنا كانت القيادات متنوعة حسب الموقف ، وليست عامة لأشخاص معينين فى كل المواقف . ومثل هذا التشخيص للقيادة يؤدى بنا إلى النظر فى قيمة هذا التصور فى طريق الاستعانة بالقادة وتدريبهم .

ولعل أهم هذه الأمور التوسع فى مدلول القادة وفى نوع المسئوليات التى يتحملونها ، بحيث تتنوع أعمالهم ومجالاتهم ؛ فهناك قادة للأمور العامة التى

تتصل بالنظام والعلاقات الاجتماعية في القرية ، وهناك قادة في الشؤون الزراعية الفنية ، وهناك نوع ثالث في مجالات التسلية والترفيه .

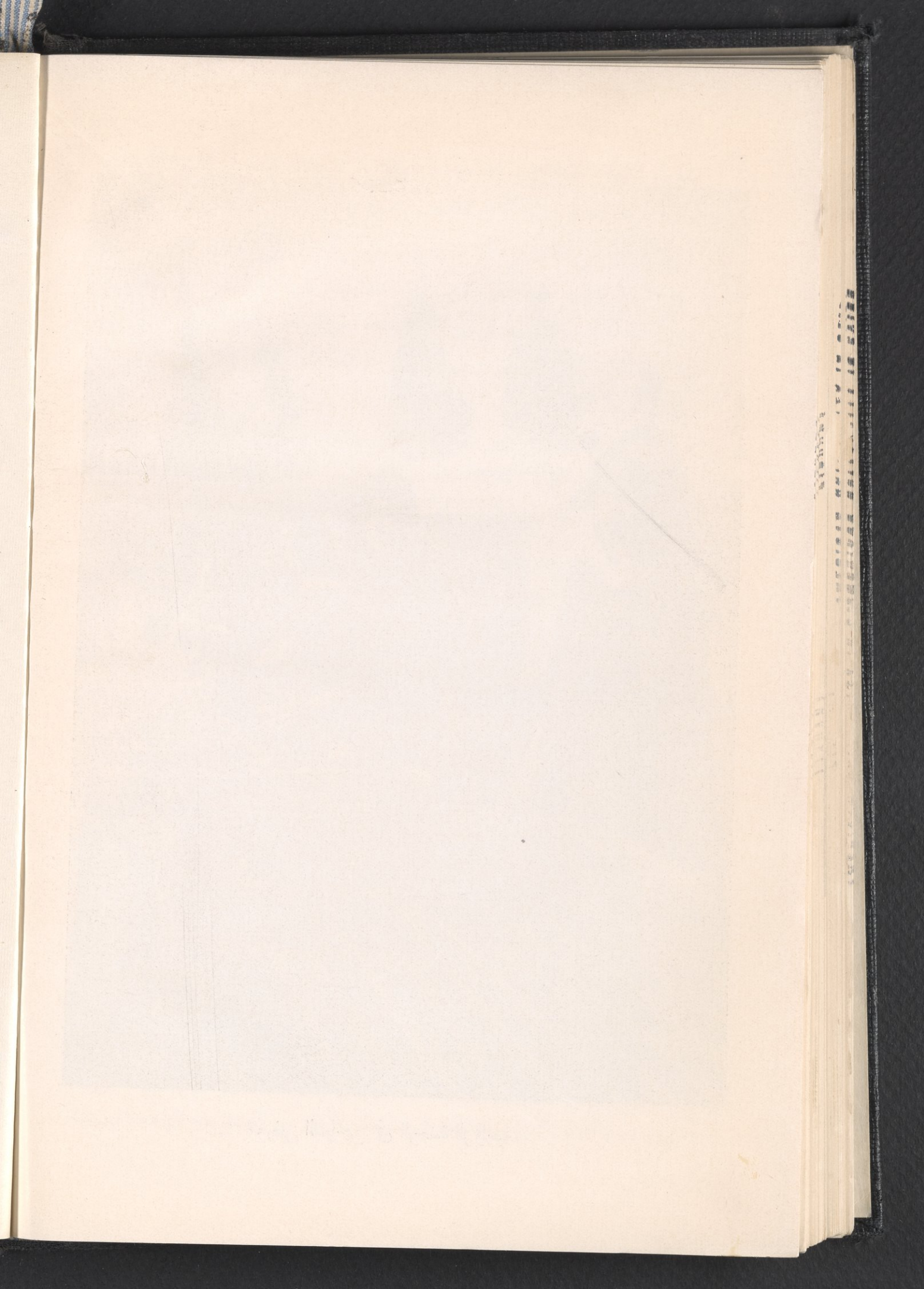
ثم إنه من الأفضل ألا يقتصر انتخاب القادة على أولئك الذين يقبلون على العمل بروح طيبة سخية ، بل إن هناك نوعاً من القادة لا ينبغي إغفاله ، يتميز بقوة الشكيمة وصلابة الرأي والدهاء وسعة الحيلة والؤم أحياناً . ومن الضروري أن يضم الإحصائي هذا النوع للمساهمة في النشاط العام ، وإدخاله في التنظيمات المختلفة من لجان أو ندوات . فمثل هذا النوع من القادة قد يكون معوقاً ومعرقلاً ، وإدخاله في دائرة العمل برغم ما قد يثير من عكينة ، أو يبدى من قلة الاكتراث أفضل من تركه خارج الدائرة ؛ ففي إشراكه فرصة لتوجيهه ودفعه في التيار العام ، أو على الأقل جعله محايداً عن طريق ضبط اتجاهاته المعوقة .

ثم إن ذلك يستتبع أن نتساءل عن الطريقة التي نلجأ إليها في مساهمة القادة وإشراكهم مع الإحصائيين في خدمة القرية - أيكون ذلك عن طريق التنظيمات المعروفة في جمعيات المراكز الاجتماعية وجمعيات الإصلاح الريفي بتكوين لجان ثابتة منظمة يجمعها الإحصائي ويتناقش معها ، وبذلك يحدد الإحصائي نفسه بهؤلاء القادة ، أم أن تكون مساهمة الأهالي حرة وأكثر مرونة من الناحية التنظيمية ؟ وبعبارة أخرى هل يعتمد الإحصائي في عمله على لجان ثابتة أم أنه يختار المهتمين في العمل أو المشروع حسب الحاجة ووفق ما يتطلبه الموقف ، وفي ضوء ما تبرزه الظروف من استعداد أولئك الذين يظهرون الرغبة في تحمل المسؤولية في موقف محدد بالذات ؟ ومعنى هذا أيضاً أن تتغير القيادة حسب طبيعة العمل أو المواقف .

ولعل في تصور القيادة المحلية حسب الموقف مخرجاً من مشكلة تحميل طائفة القادة ما لا يطيقون من عمل مما يؤدي إلى فتورهم وانصرافهم في بعض الأحيان عن تحمل مسؤولياتهم ، وطبيعي أن يسائل المرء نفسه : هل يستطيع القادة المحليون في القرية أن يقوموا بأدوار جديدة في عملية التغيير الاجتماعي ، إلى جانب أدوارهم التقليدية في القيادة ، وأن يستمروا في هذا مدة طويلة ؟ فكثيراً ما رأينا تحمسهم لتلك الأدوار الجديدة في المرحلة الأولى من العمل مع الإحصائيين ،



معرض الدواجن في الوحدة الزراعية



ولكن ذلك الحماس يفتر في أغلب الأحيان بعد وقت معين ؛ فهل ثمة مخرج من هذا عن طريق تشجيعهم بصور محسوسة كتقديم مداليات أو شهادات سنوياً ؟ هذا مجرد اقتراح فطير أثرته طالباً المزيد من التفكير في هذه المشكلة بالذات .

وفي تدريب القادة المحليين ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار مسألة اللغة التي أشرت إليها بصورة عامة في الفصل الثاني . وأكرر هنا أنه لا بد من التحدث إليهم بلغة يفهمونها ، لا من حيث الألفاظ فحسب ، بل من حيث تركيب الجملة أيضاً . ولا شك أن اللغة الدارجة هي أحسن وسائل التفهيم والتوضيح ، وهي بديهية كثيراً ما يغفلها الإخصائيون وخاصة في الاجتماعات العامة ، حيث ينسردون في الخطب والألفاظ المنمقة . ولا بد أيضاً من التأكيد على النقاط الرئيسية وتلخيصها في نهاية الحديث أو المناقشة أو الندوة . ومن المهم أيضاً أن يوضح للقادة طريقة توصيل المعلومات أو البيانات إلى بقية القرويين فقد يفهم القادة ما يقصده الإخصائي ، ولكنهم يعجزون أو يحرفون المطلوب منهم نتيجة لعدم مقدرتهم على الإفهام أو الإقناع ؛ لذلك فإنه يستحسن أن يوضح الإخصائي أيضاً لهؤلاء القادة الطريقة التي ينتهجونها مع غيرهم من أهل القرية كأن يقول لهم - « حين تتصلون بغيركم تقولون لهم كذا أو تطلبون منهم أن يعملوا كذا لأسباب هي كذا وكذا » . أو على الأقل يجعلهم واعين بضرورة التحدث إلى بقية القرويين بالطريقة التي يفهمها كل واحد وكل جماعة منهم ، هذا فضلاً عن ضرورة توضيح المطلوب منهم في صورة محددة . ولا بأس في هذا المجال من أن يطلب إليهم إذا كانوا ملمين بالقراءة والكتابة أن يدونوا ذلك كتابة ، أو أن توزع عليهم المسئوليات والأعمال في أوراق مكتوبة فإن مثل هذا مدعاة إلى زيادة الارتباط والجدية في العمل . ولقد جرب مبعوثو المركز هذه الطريقة فوجدوها أكثر فائدة وأثراً .

ومن المسائل الهامة في تدريب القادة الريفيين توجيههم إلى الاهتمام بآراء وجهود غيرهم من عامة أهل القرى ، وأن يعملوا على إشراكهم معهم . فكثيراً ما نسمع في اجتماعات هؤلاء القادة أنهم يستطيعون أن يقوموا بما يكلفون به بجهودهم

الخاصة ، وأن غيرهم سوف يطيعهم طاعة تامة ، كما نجد أنهم يستأثرون في كثير من الأحيان بالكلام والرأى ، دون أن يتيحوا فرصة لغيرهم أو دون تقدير لآرائهم . ولا بد من تعويدهم على احترام رأى الغير ، فقد نجد في لجنة من اللجان التي يشترك فيها عمدة القرية أو غيره من الأعيان رغبة ملحة منه في فرض آرائه ، في الوقت الذي نجد فيه بقية الأعضاء منصتين وموافقين ، ولو ظاهرياً ، فمن الأجدى أن نشجع بقية الأعضاء على التعبير عن آرائهم ، بل تشجيع العمدة أو غيره على أن يستمع إلى كلامهم ، وأن يطلب إليهم أن يتحدثوا بما يعن لهم . ولا شك أن هذه مسألة قد تبدو بسيطة في ظاهرها ، ولكنها تحتاج إلى كثير من اللباقة والتدرج في الوصول إليها .

* * *

هذه بعض الأمثلة من العمل الميدانى ، يبدو منها أن العمل الاجتماعى بجوانبه المتعددة يحتاج إلى فهم ودراسة وإيمان وحساسية لحياة الريفيين وقيمهم التى يعيشون بها (*) . ثم إن مراحل العمل التى أشرنا إليها ضرورية أيضاً لإعداد العدة وسداد العمل ، والاستفادة من الخبرات بل إفادة الغير أيضاً ؛ وتقديم الخدمات اللازمة لبيئة من البيئات وما يصحبها من إرشاد وتوجيه وتربية كلها عناصر أساسية تكون حصيلتها ما يعرف عادة برفع مستوى المعيشة في بلد ما . وما دام هدف العمل الميدانى في مختلف نواحي الإصلاح الاجتماعى هو رفع مستوى المعيشة لتحقيق حد أدنى للمطالب الأساسية لحياة كريمة ، فلا بد من التساؤل هنا عن نتيجة العمل الميدانى ووسائله . أيؤدى الإصلاح الاجتماعى على هذا النمط في مستوى القرية إلى مجرد تحسين أو زيادة في درجة عناصر الحياة القائمة أم ينتهى إلى تغيير جوهرى في نوع هذه الحياة وكيفها ؟

(*) أذكر على سبيل المثال تلك القروية التى كانت في طريقها إلى فصل لتعليم النساء القراءة والكتابة ، وكانت تحمل معها كتاب القراءة ، فلما مرت على جماعة من الرجال سمعت من أحدهم تعليقاً على حملها للكتاب لم ترض عنه . وجاءت في المرة الثانية إلى الفصل ولم تحضر الكتاب معها خوفاً من أن تتعرض لمثل تلك التعليقات . ولم يكن بد للمعلمة من أن تشير عليها بأن تصطحب معها بعض زميلاتها في طريقها إلى الفصل ، فإن في الإحساس بالانتماء إلى جماعة ومشاركة الفرد فيها ما يخفف من وقع سخرية الساخرين ، وقد اطمأنت المتعلمة إلى هذا الحل ولم تعد هناك مشكلة في اصطحاب الكتاب معها كزميلاتها .

وما هي وسيلتنا لتحقيق هذا الإصلاح ؟ يمكننا أن نحاول تعليم القراءة لمن فاتته فرصة التعليم ، وأن نسعى إلى زيادة محصول الأفراد بضعة أرباب في السنة وأن نحسن دواجنهم فيزيد عدد بيضها ، وأن نعمل على إقناعهم ومعاونتهم في تزويد بيوتهم بالمراحيض ، إلى غير ذلك من ضروب الإصلاح في عناصر حياتهم الحالية . ويمكننا من ناحية أخرى كما يقول بعض رجال الفكر والاقتصاد (*) ألا نقتصر على هذه الجهود الجزئية المحدودة ، بل أن نعمل على رفع مستوى المعيشة عن طريق مشاريع عامة شاملة للتنمية الاقتصادية ، تؤدي إلى تراكم كبير في رأس المال ، يفضي بدوره إلى إنعاش عام .

والواقع أن هذين الاتجاهين يكمل أحدهما الآخر ، فلا شك أننا نحتاج دائماً إلى اهتمام حقيقي بهذه الجهود الجزئية المحدودة ، وخاصة في هذه المرحلة من مراحل تطورنا الاقتصادي والاجتماعي . إذ أن نتائج هذه الجهود لن تؤدي إلى تحسين ملموس في مستوى المعيشة حتى تسندها مشاريع التنمية الاقتصادية الشاملة البعيدة الأثر ، كمشاريع الإصلاح الزراعي ، والتصنيع ، وتوليد القوى المحركة التي أحست بضرورتها ، وبدأت بتنفيذها ، كثير من الدول العربية وفي مقدمتها مصر في عهدها الحاضر ؛ فهذه المشاريع الكبرى ستؤدي مباشرة - في نتائج العمل الميداني - إلى لون من التوفير الخارجى الذى يقول به علماء الاقتصاد .

ومن ثم يتبين ضرورة الجمع بين هذين الاتجاهين حتى يقوم الإصلاح على أسس سليمة منتجة كما نؤكد ضرورة قيامه على كل من المستويين الحكومى العام ، والأهلى المحلى .

(*) يحسن هنا أن أنقل نص التساؤل من مرجعه :

"... there is the question whether education and technical assistance are properly used if the result is merely to improve degree rather than to change kind... It is now generally recognized that uniform increases of income, without major capital accumulations are simply swallowed up and have no measurable impact upon the standard of living of a people... The problem, then, seems to be one of selective development in depth, permitting one section of the population... to make major advances through a fundamental change in the technology and economy, and thus to jump beyond the subsistence level so as to be able to accumulate capital."

The Yearbook of Education, 1954; published in association with the University of London Institute of Education. London, Evans, 1954. p. 13.

الفصل السادس

مراجع مختارة للمشتغلين

بالعمل الميداني في الريف

هذه قائمة بجملة من المراجع العربية والأجنبية نذيل بها فصول هذا الكتاب ليستزيد منها القارئ في مطالعته في مختلف ميادين العمل الاجتماعي بالريف .
والقصد من المراجع في مثل هذا الموضوع أن تزود المتعلمين بالقواعد والأصول التي ترسم المجال الفكري الذي يهdy العمل الميداني ، ولا شك أن كل نشاط عملي تكمن وراءه تصورات نظرية وأسس فكرية توجهه بطريق مباشر وغير مباشر .
ولذا كان من المفيد أن نقدم هذه القائمة التي تحوى مراجع يسترشدها القارئ في التكوين النظري العام وفيما ينبغي أن يلم به من أسس ومفاهيم ووسائل ضرورية للعمل الميداني نفسه . وقد قسمت هذه القائمة إلى أقسام خمسة .

أولها : المراجع التي تعالج الأسس العامة للدراسات الاجتماعية وما يتطلبه تحليل مشكلات المجتمع ودوافع الناس وتنظيم العلاقات بينهم من قواعد ومناهج .
وثانيها : المراجع المتصلة بطرق البحث الاجتماعي وأساليبه بصفتها المعدات اللازمة لكل من يشتغل في هذا الميدان .

وثالثها : المراجع التي تقدم المعلومات العامة عن مختلف الأقطار العربية .
ورابعها : المراجع التي تلقى ضوءاً على ما تم من مختلف المحاولات والتجارب في ميادين الإصلاح الريفي .

وخامسها : المراجع المتصلة بميادين المعرفة الخاصة في ميادين الإرشاد الزراعي أو التشقيف الصحي والتعاون والتدبير المنزلي والصناعات الريفية والهندسة القروية والترفيه الريفي والوسائل السمعية البصرية بصفتها الجوانب المعرفية المتخصصة التي تعين المشتغلين في معالجة المشكلات الاجتماعية المتشابكة .

الأسس العامة للدراسات الاجتماعية

حامد شاكر ثابت. فن خدمة الجماعة. القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣، ٤٦٤ ص.

حسن شحاته سغفان . أسس علم الاجتماع . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣ ، ٢١٠ ص .

حسن شحاته سغفان . الخدمة الاجتماعية ، ميدانها وتاريخها وبرامجها ومناهجها . القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٤ ، ٣٣٥ ص .
صلاح العبد . مبادئ علم الاجتماع . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٣ ، ٢٧٣ ص .

فاطمة مصطفى الحاروني . خدمة الفرد في محيط الخدمات الاجتماعية . القاهرة ، مطبعة كلوت بك، ١٩٥٢ ، ٣١٥ ص .

فؤاد البهي السيد . علم النفس الاجتماعي . القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٥٤ ، ٣٠٥ ص .

Baker, Helen Cody. *How to interpret social welfare, a study course in public relations*, by Helen Cody Baker & Mary Swain Routzahn. New York, Russell Sage Foundations, 1947. 141 p.

Biddle, William W. *The cultivation of community leaders*. New York, Harper, 1953. 203 p.

Firth, Raymond William. *Elements of social organization*. London, Watts 1951. 251 p.

FAO. *Essentials of rural welfare*. Washington, D.C., 1949. 43 p.

International Conference of Social Work. 6th Madras, 1952. *The role of social service in raising the standard of living; a group of working papers*. New York, American Association of Social Workers, 1952. 41 p.

- Kluckhohn, Clyde, *Mirror for man; the relation of anthropology to modern life*. London, Harrap. 313 p.
- Kluckhohn, C. & Murray, H.A. eds. *Personality in nature, society and culture*. New York, Knoff 1949. 561 p.
- Linton, Ralph. ed. *Science of man in the world crisis*. New York, Columbia Univ. Press. 1945. 532 p.
- Lippitt, Ronald. *Training in community relations; a research exploration toward new group skills*. New York, Harper, 1949. 286 p.
- Newcomb, Theodore M. & others, *Readings in social psychology*, prepared for the committee on the teaching of social psychology of the society for the psychological study of social issues. New York, Henry Holt, 1947. 688 p.
- Ogburn William Fielding and Nimkoff, Meyen F. *Sociology*. 2nd. ed. New York, Houghton Mifflin Co. 1950 606 p.
- Raper, Arthur F. *The Japanese village in transition*, by A.F. Raper and others. Tokyo, G.H.Q. Supreme Commander for the Allied Powers, 1950 272 p.
- Sanders, Irwin Taylor. *Making good communities better; a handbook for civic-minded men and women*. Lexington, Univ. of Kentucky Press, 1950. 174 p.
- United Nations. *Selected List of books, pamphlets and periodicals in English on community organization and development*. New York, 1953. 24 p.
- UNESCO. *Cultural patterns and technical change; a manual prepared for the World Federation of Mental Health and edited by Margaret Mead*. Paris, Unesco, 1953. 346 p.
- Yang, Mou-chiun. *A Chinese village: Taitou, Shantung Province*. London Paul, Trench, Trubner 1948 275 p.

طرق البحث الاجتماعي

جارية ، انيت . فن المقابلة — مبادئه وطرقه . ترجمه وراجعہ لجنة
من المعهد العالمی للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية . القاهرة، دار المعارف،

١٩٥٢ ، ١١٨ ص

- Bartlett, Frederick, ed. *The study of society: methods and problems*. London, Routledge & Kegan Paul, 1939. 498 p.
- Gee, Wilson. *Social science research methods*. New York, Appleton-Century-Crofts, (1950). 309 p.
- International Labour Office *Methods of family living studies*. Geneva, 1949. 63 p.
- Lundberg, George. *Social research. A study of gathering data*. 2nd ed. New York, Longmans, 1948. 426 p.
- Mona Sedky. *Principles of social case-work and their application in Egypt*. Alexandria, Al Bassir Press (1952). 108 p.
- Royal Anthropological Institution of Great Britain and Ireland. *Notes and queries on anthropology*, 6th ed. London, Routledge & Kegan Paul, 1951, 403 p.
- Young, Pauline (Vislick). *Scientific social surveys and research; an introduction to the background, content, methods and analysis of social studies*, by Pauline V. Young; with Chapters on statistics, scaling techniques, graphic presentation & human ecology by Calvin F. Schmid and a Forward by Stuart A. Rice. 2nd ed. New York, Prentice Hall, 1949. 621 p.

مراجع عامة في المشكلات الاجتماعية للعالم العربي

أديب لحود . العادات والأخلاق اللبنانية . بيروت ، مكتبة صاد ، ١٩٥٣ ، ٢٣٨ ص .

بونيه ، الفريد . الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الأوسط . ترجمة راشد البراوي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ ، ٣٩١ ص .

جامعة الدول العربية . حلقات الدراسات الاجتماعية للدول العربية ؛ المحاضرات والسجلات والتقارير :

الدورة الأولى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ٥٤٤ ص .

- الدورة الثانية ، القاهرة ١٩٥٠ ، ٥٤٥ ص .
- الدورة الثالثة ، وسائل تنظيم التكافل الاجتماعى فى الدول العربية ، أسئلة وأجوبة وبحوث وتوصيات . القاهرة ، ٤٤٦ ص .
- جمال الدين محمد سعيد . اقتصاديات مصر . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ ، ٣٦٤ ص .
- الجمعية المصرية للاقتصاد الزراعى . المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الريفية الكبرى فى مصر — بحوث وتوصيات مؤتمر الاقتصاد الزراعى الأول ، مارس ١٩٥٢ ، القاهرة . مكتبة الأنجلو ، ١٩٥٢ ، ٢٤٣ ص .
- صلاح الدين نامق . مشكلة السكان فى مصر — دراسات اجتماعية اقتصادية . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية (١٩٥٤) ، ١٣٢ ص .
- عباس العداوى . عشائر العراق . ١ — القديمة والبدوية ، ٢ — الكردية . بغداد . الأول مطبعة بغداد ، ١٩٣٧ . الثانى مطبعة المعارف ١٩٤٥ . ٢ ج .
- عبد الرزاق الهلالى . نظرات فى إصلاح الريف . بيروت ، دار الكشف ، ١٩٥٠ ، ١٢٢ ص .
- على حسين الوردى . شخصية الفرد العراقى ، بحث فى نفسية الشعب العراقى على ضوء علم الاجتماع الحديث . بغداد . مطبعة . الرابطة ١٩٥١ ، ٦٨ ص .
- عيروط ، الأب هنرى اليسوعى . الفلاحون . ترجمة محمد غلاب ، القاهرة ، مطبعة كوثر ، ٢٢٦ ص .
- لبنان — وزارة الاقتصاد الوطنى . التطور الاقتصادى فى لبنان . تقرير السير الكسندر جيب وآخرين ، ترجمه شفيق غرز الدين ، بيروت ١٩٤٧ ، ٢٣٥ ص .
- لين ، إدوارد وليم ، المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر . ترجمه عدلى طاهر نور . القاهرة ، مطبعة الرسالة ١٩٥٠ ، ٤٤٦ ص .

منيف الرزاز . معالم الحياة العربية الجديدة . القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٥٢ ، ٣٠٨ ص .

هاشم جواد . مقدمة في كيان العراق الاجتماعي . بغداد . مطبعة المعارف ١٩٤٦ ، ١٣٢ ص .

هيئة الأمم المتحدة . التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا . أعداه بنجامين هيجنز بمعاونة فريق من خبراء الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة ، ٢٣٨ ص (على الآلة النسخة) .

وارنر ، دورين . الأرض والفقر في الشرق الأوسط . ترجمة أحمد حسن السلमान . القاهرة ، دار الكتاب العربي ١٩٥٠ ، ٢٣١ ص

'Abbas M. 'Ammar. *The people of Sharqiya*. Cairo, La Société Royale de Géographie D'Egypte, 1944. 2 vols.

Allen, Harold Boughton. *Rural reconstruction in action*. Ithaca, New York, Cornell University Press, 1953. 204 p.

Beirut. Quatrieme semaine sociale de Beyrouth, 9-15 Mai, 1943. *La Famille libanaise*. (Ed. Les Lettres Orientales) Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1943. 162 p.

Beirut. Septieme Semaine Sociale de Beyrouth, 5-11 Mai, 1946. *L'ouvrier dans La nation Libanaise*. (Ed. Les Lettres Orientales). Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1947. 150 p. Labels, charts.

"Document relating to the Middle East" : a special issue of *International Social Science Bulletin* Vol. V, No. 4. (1953) Paris, UNESCO.

Granqvist, Hilma Natalia. *Birth and childhood among the Arabs; Studies in a Muhammedan village in Palestine*. Helsingfors, Soders-trom, 1947. 289 p.

Granqvist, Hilma Natalia. *Child problems among the Arabs; studies in a Muhammedan village in Palestine*. Helsingfors, Soderstrom, 1950. 336 p.

Granqvist, Hilma Natalia. *Marriage conditions in a Palestinian village*. Helsingfors, 1931-35. 2 vols.

- Hamed Ammar. *Growing up in an Egyptian village: Silwa, province of Aswan*. London, Routledge & Kegan Paul, 1954. 316 p.
- Royal Institute of International Affairs. *The Middle East; a political and economic survey*. 2nd. ed. London, 1954. 590 p.
- Tannous, Afif I. "Group behaviour in the village community of Lebanon", in : *American Journal of Sociology*, vol. 48, No. 2 (Sept. 1942), pp. 231-239
- Twitchell, K.S. *Saudi Arabia, with an account of the development of its natural resources*. Princeton University Press, 2nd ed., 1953. 231 p.
- United Nations. *Report of the mission on community organization and development in selected Arab countries of the Middle East*, 1953 60 p. (1953. IV. 21)
- United Nations. *Review of economic conditions in the Middle East*. Supplement to World Economic Report. New York, 1951.
- UNESCO. *Changes in social and legal systems in the Near and Middle East as a result of technological development*; General report of the International Social Science Symposium organized by the Society for International Studies under the auspices of Unesco (Athens, 8-15 Oct. 1952). Paris, 1953. 22 p.
- Weulersse, Jacques. *Paysans de Syrie et du Proche-Orient*. 5th ed. Paris, Gallimard, 1946. 32 p.
- مجلة الإصلاح الاجتماعي ، اجتماعية ثقافية ، اقتصادية . شهرية .
 رابطة الإصلاح الاجتماعي ، ١٥ شارع ابراهيم باشا ، القاهرة .
 مجلة العمل والشؤون الاجتماعية . تصدر كل شهرين . مدير العمل والشؤون
 الاجتماعية ، دمشق .
- Middle East Journal*. Quarterly. The Middle East Institute, Washington, D.C. \$ 6.00 per annum \$ 1.50 per issue.
- Middle Eastern Affairs*. Monthly. Council for Middle Eastern Affairs, Inc., 11 West 42 St., New York 36, N.Y. Subscription \$ 3.00, Single Copies 30 c 124 p.

التربية الأساسية

اليونسكو . التربية الأساسية ، وصفها ومنهجها . باريس ، دار اليونسكو ، ١٩٥٢ ، ١٢٣ ص .

هيئة الأمم المتحدة . التقدم الاجتماعي عن طريق العمل المحلي . (مجموعة دراسات) نشرتها هيئة الأمم المتحدة بالاشتراك مع المركز الدولي للتربية للتربية الأساسية في العالم العربي . سرس الليان ، المركز الدولي للتربية الأساسية ١٩٥٤ ، ٢٢ بحثاً . (سلسلة دراسات الأمم المتحدة عن تنظيم المجتمع وإنعاشه ، المجموعة الأولى) .

Brunner, Edmund de S. *Community organization and adult education*. Capel Hill, The University of North Carolina Press, 1942. 124p.

Hayden, Howard. *Moturki, a pilot project in community development*. London, Oxford University Press, Issued under the auspices of the South Pacific Commission, 1954. 180 p.

India - Planning Commission *The first five-year plan*. New Delhi, Govt. Press, 1952. 671 p.

Ogden, Jean (Corter). *These things we tried*. A Five-Year experiment in Community development initiated and carried ont by the Extension Division of the University of Virginia. Charlottesville, Univ. of Virginia, 1947. 432 p.

United Nations. *Social progress through local action: Study Kit No. I*, published jointly by the United Nations and Unesco. New York 1953. 35 pamphlets. (Contains 34 items, chiefly reprints of journal articles, on fundnmental education programmes and methods, and a pamphet of suggestions for using the kit.)

UNESCO. *Adult education*. Paris, 1951. 147 p.

UNESCO. *Selected readings in fundamental education; a bibliography and commentary*. Compiled for Unesco's Group Training Scheme, Mysore, India Dec. 1953-July 1954. 130 p.

مجلة التربية الأساسية . فصلية . المركز الدولي للتربية الأساسية في
العالم العربي ، سرس الليان ، منوفية مصر . الاشتراك ٢٥ قرشاً مصرياً
أو مايعادلها بالعملات المحلية ؛ ٨ قروش للنسخة .

Adult Education. Quarterly. British Institute of Adult Education, 35,
Queen Anne Street, London W.I. 10s 6d. per year; 6d. per issue.

Community Development Bulletin. Monthly. Community Develop-
ment Clearing House. University of London, Institute of Educa-
tion, Malet Street, W.C.I. 3s 6d per annum 1s per issue.

Fundamental and Adult Education Bulletin. Quarterly, UNESCO,
Paris. \$ 1.00 per annum 30 c per issue.

Indian Journal of Social Work; a quarterly devoted to the
promotion of professional social work, scientific Interpretation
of social problems and advancement of social research. Tata
Institute of Social Sciences, Andheri, Bombay. Rs. 11-0-0
per annum Rs. 3-0-0 per issue.

الإرشاد الزراعي

السيد محمد البحيري . مذكرات في الزراعة ، وضعت لطلبة الكلية
(الزراعة بالجيزة) خاصة القاهرة ، مطبعة العلوم ، ٢ ج .

حسين محمد بدوى . الزراعة الحديثة بالمملكة العربية السعودية . الطبعة
الثانية . القاهرة ، مطبعة مصر . ١٩٥٠ ، ٥٩٢ ص .

حليم نجار . تراثنا الاجتماعي وأثره في الزراعة . بيروت ، دار الكشف ،
١٩٤٩ ، ١٦٠ ص

محمد السعيد محمد . الاقتصاد الزراعي . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة
النهضة المصرية ، ١٩٥٣ ، ٦٩٦ ص

محمد السعيد محمد . حسابات المزرعة تأليف محمد السعيد محمد وعبد
البارى نعمت . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥١ ، ٥٥٢ ص .

Algeria. Direction de L'Agriculture *Place et rôle du paysanat dans l'economie algerienne*. Alger, 1950 35 p. 39 p. (Arabic & French)

Brunner, Edmund de Schweinitz. *Farmers of the world; the development of agricultural extension*. Edited by Edmund de S. Brunner, Irwin T. Sanders, and Douglas Ensminger. New York, Columbia University, 1945. 205 p.

FAO. *Agriculture in the Near East; development and outlook*. Rome, 1953 33 + 78 p.

FAO. *Report to the Government of Saudi Arabia on agricultural development*, by J.D. Tothill. Rome, 1952 88 p.

Report to the Government of Saudi Arabia on the state of Agriculture in the South Tihama area, by C.O. vander Plas. Rome, 1953. 27 p.

FAO. *Report to the Government of Libya on agriculture*. Rome, 1952. 2 vols. illus, maps.

Tothill, J.D., ed. *Agriculture in the Sudan*. London, Oxford Univ. Press, 1948. 974 p.

UNESCO. *Teaching agriculture: a selected bibliography*, prepared by UNESCO & FAO. Paris, 1952 52 p.

التثقيف الصحى

أحمد محمد كمال وآخرون ، مبادئ الصحة العامة . الطبعة الثانية .
القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٤ ، ٥٦٢ ص .

ديرها كوبيان ، موسيس . حالة العراق الصحية فى ربع قرن . الموصل ،
مطبعة الاتحاد ، ١٩٤٨ ، ١٣٦ ص .

عبد الواحد الوكيل . علم الصحة . الطبعة الرابعة . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ ، ٥١٩ ص .

محمد محمد عجميه . مرحاض الحفرة . القاهرة . مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات ، ١٩٥٣ ، ٦٠ ص .

مصر - وزارة الصحة . مشروع تثقيف صحي بثلاث قرى بالقطر المصري ، وضع

روبرت بوج وعزيز حبشى بتعاون هيئة الصحة العالمية ووزارة الصحة المصرية .

القاهرة ، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية ، ١٩٥٢ ، ٥١ ص ، ٦ لوحات .

مصر - وزارة الصحة . مصلحة الصحة القروية ، تاريخها ، أهدافها ، برنامجها .

القاهرة ، المطبعة الكمالية (١٩٥٤) ٣٦ ص .

Bibby, Cyril. *Health education; a guide to principles and practices*. London, Heinemann, 1952. 222 p.

Dodd, Stuart Carter. *A controlled experiment on rural hygiene in Syria*. Beirut, American Press, 1934. 336 p.

Lamkin, N.B. *Health education in rural schools and communities*. New York, Barnes, 1946. 209 p.

New York, Academy of Medicine. *Motivation in health education*. New York, Columbia Univ. Press. 53 p.

WHO. *Methodology of planning an integrated health programme for rural areas*; second report of the Expert Committee on Public Health Administration, Geneva, 1954 46 p.

Health Education Journal. Quarterly, Central Council for Health Education. Tavistock Education. Tavistock House, Tavistock Square, London, W.C.I. 10s; 2s. 9d per issue

الترفيه الريفى

جاردينر ، إيلا . برامج الترفيه . تعريب عبد المنعم شوقى . القاهرة

دار المعارف ، ١٩٥٢ ، ١٧٦ ص

كامل بنقسلي . اليده الماهرة أو وسائل الإيضاح للدروس . تأليف كامل بنقسلي وأحمد الصعیدی . دمشق ، دار اليقظة العربية ، ٣٤١ ص .

محمد حامد الأفندی ، ٤٠٠ لعبة مختارة عقلية حركية . اجتماعية ؛ تأليف

محمد حامد الأفندی وحسن على عبد العزيز . القاهرة ، مطبعة

مخيمر . ١٩٥٤ ، ٢٠٨ ص .

ولسن ، جرترد . الخدمة الترويحية والتربية غير المقصودة ، ترجمة

ليلي شعراوي . القاهرة ، دار المعارف ، ٣٩ ص .

Butler, George D. *Introduction to community recreation*. New York, McGraw-Hill, 1949. 568 p.

Fitzgerald, Gerald B. *Community organization for recreation*. New York, A.S. Barnes, 1948. 352p.

Recreation. Monthly (September-June). National Recreation Association, 315 Fourth Avenue, New York 10, N.Y. \$ 4.50 per year; 50 c per issue.

التعاون

أحمد زكي الإمام . التعاون الزراعي . ميت غمر ، الاتحاد التعاوني ،

١٩٥٤ ، ١٨٨ ص .

على سولياك . وقائع الاقتصاد التعاوني . ترجمة خالد القوتلي ، دمشق ،

مطبعة ابن زيدون ، ١٩٥٠ ، ٢٧٥ ص .

Cheesman, W. J. W. *Co-operative possibilities in the Hashemite Kingdom of Jordan*. Cairo, British Middle East Office, 1952. 18 p.

Colombain, Maurice. *Co-operatives and fundamental education*. Paris, UNESCO, 1950. 171 p. illus.

Heyworth-Dunne, Gamal-Eddine *Egypt, The cooperative movement.* Cairo, Renaissance Bookshop, 1952. 66 p.

International Labour Office. *Cooperative organization.* (Report 11, Regional Conference for the Near and Middle East, Teheran 1951). Geneva, 1950. 77p.

United Nations. *Rural progress through co-operatives; the place of cooperative associations in agricultural development.* New York, 1954. 112 p.

مجلة التعاون ، لسان حال الحركة التعاونية في مصر . الاتحادات
التعاونية . مكتب بريد مبنى المجمع الحكومى ، ميدان التحرير ،
القاهرة . الاشتراك السنوى ٢٥ قرشاً

التعليم

إسماعيل محمود القباني . دراسات في مسائل التعليم . القاهرة . مكتبة
النهضة المصرية ، ٣٧٢ ص .

رابطة التربية الحديثة - القاهرة . المدرسة الأولية الريفية . مجموعة
الأبحاث التى قام بها أعضاء الرابطة والقرارات التى اتخذتها
الرابطة بشأن مشروع تجربة لمدارس الريف . القاهرة ، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٠ ، ٦٤ ص .

ساطع الحصرى (أبو خلدون) حولية الثقافة العربية . القاهرة ،
الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ١٩٤٩ - ١٩٥٤ . ٤ مجلدات .

فورد ، أودين ك . « التعليم الصناعى فى العراق » ، ترجمة جعفر خياط . عدد
خاص من مجلة المعلم الجديد السنة ١٧ الجزء ٣ (يناير ١٩٥٤) ٤٤٨ ص .

ماتيو، رودرك. التربية في الشرق الأوسط العربي. تأليف رودرك ماتيو ومتي عقراوى، ترجمة أمير بقطر. القاهرة. المطبعة العصرية ١٩٥٠، ٧٤٦ ص.

محمد الجومرد. معلم القرية. بغداد. المطبعة العصرية، ١٩٥٤، ١١٥ ص

مؤتمر التعليم الإلزامى المجانى للدول العربية - القاهرة. توصيات المؤتمر الذى عقد بالتعاون مع منظمة اليونسكو وجامعة الدول العربية فى القاهرة من ٢٩ ديسمبر ١٩٥٤ - ١١ يناير ١٩٥٥. ٣٩ ص. (على الآلة النسخة).

«وجهة التربية والتعليم فى العراق». عدد خاص من مجلة المعلم الجديد السنة ١٢ الجزء ٥، ٦ (يولية ١٩٥٤).

Abu al Futouh Ahmad Radwan. *Old and new forces in Egyptian education*. New York, Bureau of Publications, Teachers College, Columbia University, 1951. 192 p.

Beirut. Deuxieme Semaine Sociale de Beyrouth, 27 avril-3 mai, 1941. *L'ecole et l'education nationale*. Beirut, Imprimerie Catholique, 1942-132 p.

Cook, Lloyd Allen. *A sociological approach to education; a revision of community backgrounds of education*, by L.A. Cook and Elaine Forsyth Cook, 2d ed. New York. McGraw-Hill, 1950. 514 p.

Olsen, Clara M. *Learn and live*, by Clara M. Olsen and Norman D. Fletcher. New York, Alfred P. Sloan Foundation, 1946. 101 p.

Olsen, Edward Gustave. *School and community programs; a case-book of successful practice from kindergarten through college and adult education*. New York, Prentice-Hall, 1949. 510 p.

Thorndike, Edward L. *Adult learning*, by E.L. Thorndike and others. New York, Macmillan 1928. 335 p.

UNESCO. *Literacy education : a selected bibliography*. Paris, 1950. 43 p.

UNESCO. *Preliminary survey of methods of teaching reading and writing*, by William S. Gray. Paris, 1953, 2 vols.

UNESCO. *Study kit on teaching reading and writing*. Paris, 1953⁷ 51 pamphlets.

UNESCO. *The training of rural school teachers*, by M.B. Lorengo Filho and others. Paris, 1953. 164 p.

المعلم الجديد ، تربوية ثقافية . وزارة المعارف العراقية ، بغداد . ست
مرات في السنة . الاشتراك السنوي ٢٥٠ فلساً لموظفي وزارة المعارف
العراقية ، ١٥٠ فلساً للطلاب ، ٥٠٠ فلس في العراق ، ٧٥٠
فلساً في الخارج .

المعلم العربي . شهرية ، وزارة المعارف السورية . دمشق . الاشتراك
السنوي ٥ ليرات سورية أو جنيه للبلدان العربية الأخرى .

صحيفة التربية . فصلية . رابطة خريجي معاهد التربية ، ١٣ ميدان التحرير
القاهرة . الاشتراك السنوي ٦٠ قرشاً في مصر والسودان ، ٧٥ قرشاً
للبلاد العربية الأخرى ، ثمن النسخة ١٥ قرشاً في مصر والسودان و ٢٠٠
قرشاً ، ملا أو فلساً في البلاد العربية الأخرى .

التغذية

عبد الله صدقي . الفيتامينات في التغذية . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ ، ١٥١ ص .

محمد زكي شافعي . طعامنا ، في مختلف الأعمار والأحوال . القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ ، ٢٨٧ ص .

محمد مختار صدقي . الغذاء في الصحة والمرض . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٧ ، ١٦٧ ص .

American University at Beirut. *Food tables for use in the Near East* (provrisional); analyses from the Nutrition Laboratory, A.U.B. Beirut, 1953. 2p. tables.

Culwick, G.M. *Diet in the Gezira irrigated area, Sudan*. Khartoum, Sudan Survey Dept. 1951. 228 p.

FAO. *Handbook for the preparation of food balance sheets*. Washington 1949. 33 p.

FAO. *Nutrition training centre sponsored by the Government of Egypt, FAO, and WHO*. Cairo, 1950. 333 p.

FAO. *School feeding; its contribution to child nutrition*, by Marjorie L. Scott. Rome, 1953. 129 p.

FAO. *Teaching better nutrition; a study of approaches and techniques* by Jean A. Ritchie. Washington 1950 148 p. illus.

Pollard, L.B. *Adult education for homemaking*. 2nd ed. New York J. Wiley, 1947. 194 p.

UNpivn lig ESCO. *A Family rogramme in Viani*, by Carmelina Capoparis, 1951. 28 p.

الصناعات الريفية

شكري المراغي . التصنيع الريفي ، اتجاه عصرى للمهوض بالقرية .
١٩٥١ ، ٢٠ ص .

All-India Village Industries Association. *A questionnaire for the survey of village industries along with general information notes on those industries.* Wardha, 1947. 72 p.

Glenister, S.H. *The technique of handicraft teaching.* London, Harrap, 1953 157 p.

Griswold, Lester Everett. *Handicraft; simplified procedure and projects in leather, celluloid, metal, wood, batik, rope and cordage, primitive Indian crafts...* New York, Prentice-Hall, 1951. 480p.

Madras (State). Director of Information and Publicity. *Cottage industries in Madras State.* Madras, 1952. 191 p. illus.

Simpson, L.E. *The Weaver's Craft.* 4th & revised ed. Peoria, III, Manual Arts Press, 1944. 198 p.

Taylor, William. *Educational handwork; a complete and varied course for schools.* London, A. Brown n.d. 2 vols illus.

Home Craftsman. Bi-monthly. Home Craftsman Publishing Corp., 115 Worth St., New York 13, N.Y. \$ 2.25 per annum 35c per issue.

المكتبات

- فبر ، إثل . فن المكتبات في خدمة النشر ، تأليف إثل فبر ومحمد كفافي ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٢ ، ٩٦ ص .
- اليونسكو . المكتبات العامة ، بسطها وتوسيع نطاقها . تأليف ليونل ر . ماك كويني . باريس ١٩٥٣ ، ١٦٠ ص .

- Gardiner, Jewel. *Administering library service in the elementary school*, by Jewel Gardiner and Leo B. Baisden. Chicago, American Library Association, 1941. 161 p.
- Moshier, Louise Marion. *The small public library, organization, administration, service*, by Marion Moshier & Helena S. Le Fevre. Chicago, American Library Association, 1942. 142 p.
- UNESCO. *Libraries in adult and fundamental education*. Paris, 1951 179 p. illus.

الهندسة القروية

- Alcock, A.E.S. *How to plan your village*, by A.E.S. Alcock and Helga M. Richards. London, Longman, 1953. 60 p.
- Housing and Town and Country Planning Bulletin*. Published three times a year by the United Nations Social Affairs Department.
- Little, Arthur D. *Preliminary report on Egyptian village housing, building materials, and methods of construction* to Administrator, Technical Cooperation Administration. Cambridge Mass. 1952. 126 p. illus. photographs, plans
- Lozach, Jean. *L'habitat rural en Egypte*, par J. Lozach et G. Hug. Le Caire, Imprimerie de L'Institut français d'archéologie orientale du Caire, pour la Société de géographie d'Egypte, 1930. 218 p.

الوسائل السمعية البصرية

مراد عزيز . التعليم بالسينما . القاهرة . مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات والتبادل التربوي ١٩٤٩ ، ٧٠ ص .

Allgood, Mary Brown. *Demonstration techniques*. New York, Prentice Hall. 1947. 147 p.

Dale, Edgar. *Audio-visual methods in teaching*, 2nd ed. New York, Dryden Press, 546 p. illus

East, Marjorie. *Display for Learning* New York, Dryden Press, 1952. 306 p.

Eisenberg, James. *Silk screen printing*. Bloomington, III., Mc Knight and McKnight Publishing Co. 1952. 55 p.

Film Centre, London. *The Film and Fundamental Education*. London 1950. 20 p.

Film Centre, London. *Film and filmstrip projection in fundamental education*, by Peter Brinson. London, 1950. 22p.

Film Centre, London. *Film discussion groups in fundamental education*, by Peter Brinson. London, 1950. 21 p.

Kleinschmidt, H.E. *How to turn ideas into pictures : a simple method of illustrating publicity and educational materials*. New York, National Publicity Council for Health and Welfare Services, 1950. 32 p.

Lane, Janet. *Planning your exhibit*. New York, National Publicity Council for Health and Welfare Services. 1948 28p. illus.

Rufsvold, Margaret I. *Audio-Visual school service; a handbook for librarians*. Chicago, American Library Association, 1949. 116p. illus.

UNESCO. *Visual aids in fundamental education; some personal experiences*. Paris, 1952. 168p.

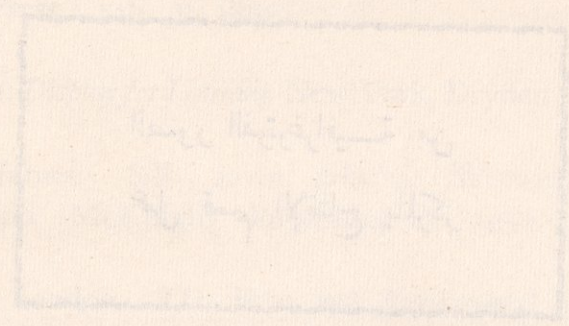
UNESCO. "Visual aids in fundamental education", special issue of *Education abstracts*, vol. VI, No. 4 (April 1954), 17 pp. (Annotated bibliography).

UNESCO. *Manual of travelling exhibitions*, by Elodia Courter Osborn. Paris, 1953. 11p.

الصور الفوتوغرافية من
عمل قسم الإنتاج بالمركز

UNESCO. *Final list in fundamental education*, special issue of *Education abstracts*, vol. VI, No. 4 (April 1954), 17 pp. (American bibliography).

UNESCO. *Manual of learning activities in Basic Course*. Paris 1953. 117 pp.



فهرس الكتاب

صفحة

٣	محتويات الكتاب
٦	تقديم
٨	الفصل الأول : الاتجاهات العامة في التربية الأساسية وأهميتها للعالم العربي
٢٠	الفصل الثاني : أسس العمل الميداني ومفاهيمه
٣٩	الفصل الثالث : مراحل العمل الميداني — مرحلة التعرف والدراسة
٥٣	الفصل الرابع : مراحل التخطيط والتنفيذ والتقييم
٧٥	الفصل الخامس : صور من نشاط العمل الميداني في قرية مصرية
١٠٦	الفصل السادس : مراجع مختارة للمشتغلين بالعمل الميداني في الريف

CT91

030

DATE DUE



A.U.C

12 OCT 1998

DEC 1973

HN
783
A63x
1955
c.3

B12237255
I13388472

